فائدة جليلة

في

قواعد الأسماء الحسنى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فأولا: أحمد الله جل وعلا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه أن يسر هذا اللقاء، وأن أعان على هذا الاجتماع، وأسأله بمنه وكرمه أن يكتب لنا فيه العلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدينا سواء السبيل، ثم إنني أشكر للقائمين على هذا المسجد وعلى رأسهم إمام هذا المسجد الشيخ الفاضل فهد الغراب على رغبتهم في المشاركة التي –حقيقة– تأبيت كثيرا إلا أنه أمام رغبة ملحة منه ومن القائمين على المسجد وافقت، وإلا فهذا بلد العلماء، والعلماء فيهم متوافرون.

وإذا كان لمثلي سفر للتعليم ففي بلد يكون ليس فيه طلاب علم، فهناك تكون المشاركة ولكنه جزاه الله خيرا أحسن الظن، ورغب أن تكون مشاركة؛ فنسأل الله جل وعلا أن يكتب في هذه المشاركة الخير والتوفيق والسداد والنفع للجميع، وأن يمنحنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يعيذنا من فتنة القول وفتنة العمل، وأن يوفقنا لسديد القول وصالح العمل، إنه تبارك وتعالى سميع مجيب قريب.

ثم أيها الإخوة الكتاب الذي نتدارسه جميعا، أو الرسالة التي نتدارسها جميعا في هذا اللقاء هي حقيقة رسالة قيمة جدا، وخلاصة نافعة لطالب العلم، في باب قواعد الأسماء والصفات، وهذه الرسالة هي في الحقيقة فصلٌ أودعه العلامةُ ابن القيم –رحمه الله– في كتابه الفريد "بدائع الفوائد" وهو كتاب على اسمه مليء بالفوائد النفيسة والدرر الثمينة التي أودعها ذلك الكتاب المبارك، ومن جملة فوائد هذا الكتاب هذه الفائدة الجليلة المتعلقة بقواعد الأسماء والصفات.

وقد جمع –رحمه الله– في هذه القواعد عشرين قاعدة في أسماء الله وصفاته، اختارها اختيارا دقيقا وحررها تحريرا بديعا، ورتبها ترتيبا موفقا، واعتنى بها عناية كبيرة، يدرك ذلك من يقرأ هذه القواعد، ولأهمية هذه القواعد وشدة الحاجة إليها في هذا الباب العظيم نبه المصنف –رحمه الله–

في خاتمة هذه القواعد أن من لم يكن على علم بمثل هذه القواعد ولم يكن على دراية بها فالأولى به أن يسكت عن الخوض في هذا الباب؛ لأن خوضه فيه سيكون بغير علم وبغير عدل.

فنبه –رحمه الله– في خاتمة هذه القواعد على أهميتها وشدة الحاجة إليها، وأن من لم يكن على دراية بأمثال هذه القواعد فالأولى به أن يسكت؛ لأن جناب الرب ﷻ والكلام في أسمائه وصفاته أمر في غاية الخطورة، وإذا لم يكن لدى طالب العلم في كلامه في هذا الباب قواعد يمشي عليها وأصول يبني عليها كلامه فإنه سيكون عرضة للخطل والزلل.

وحسب علمي أن ابن القيم –رحمه الله– لم يسبق بمثل هذا الجمع، نعم في كتب السلف المتقدمين كالدارمي –رحمه الله– في نقده على بِشْر ورده على الجهمية، وكابن بطة في كتابه "الإبانة" والآجري في كتابه "الشريعة" وابن خزيمة في كتابه "التوحيد" ضمنوا هذه الكتب قواعد نافعة، لكنها جاءت متناثرة مبثوثة في بطون تلك الكتب.

لكن إفراد قواعد الأسماء والصفات بهذه الصفة وبهذا الجمع لم يسبق حسب علمي إليه، أو لم يسبق إليه أحد حسب علمي قبل هذا الإمام ابن القيم –رحمه الله– إلا ما كان من شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في كتابه "الرسالة التدمرية" فهي رسالة في الأصل قائمة على تقرير قواعد عظيمة ومفيدة في باب الأسماء والصفات سواء في باب التأصيل أو في باب الرد.

وهذا يفيدنا بقيمة هذه القواعد وأهميتها وشدة الحاجة إليها، وقد جاءت هذه القواعد شاملة لباب تقرير المعتقد الحق في أسماء الله وصفاته، وشاملة كذلك لباب الرد على المخالفين، والنقد لكلام المبطلين، والقواعد سواء في باب التأصيل، أو في باب الرد يحتاج إليها طالب العلم حاجة ماسة ليبني عليها علمه، فإن القواعد بالنسبة للعلوم كالأصول بالنسبة للأشجار، والأعمدة بالنسبة للبنيان، فكما أن الأشجار لا تقوم إلا على أصولها والأبنية لا تقوم إلا على أعمدتها، فإن العلوم لا تقوم إلا على القواعد والأصول الكلية الجامعة التي بمعرفة طالب العلم لها وعنايته بها يتحقق له فوائد عظيمة، ومنافع عديدة، أهمها في تقديري أربع فوائد:

الفائدة الأولى: أنها تيسر عليه أمر العلم، وتسهل عليه تحصيله، وجمع أطرافه ولَمِّ شتاته؛ لأن القاعدة حكم كلي يتفرع عنه جزئيات كثيرة، ومن خلالها يُتوصل لمعرفة تلك الجزئيات التي تعود إلى هذا الأصل الكلي فتختصر على طالب العلم الوقت، وتسهل عليه العلم والفهم، إذا عرف القاعدة

وضبطها وعرف بعض أمثلتها كلما كان مندرجا تحتها أعاده إليها فهذا فيه تيسير وتسهيل للفهم والعلم والضبط ومعرفة المسائل.

الفائدة الثانية: أن في معرفة القواعد جمعًا للأشباه والنظائر الذي من زينة العلم وجماله الإلمام بها ومعرفتها، وليس هناك ما يذلل هذا الأمر وييسر فهمه ويعين على ضبطه مثل القواعد الكلية الجامعة النافعة في هذا الباب.

الفائدة الثالثة: زوال أو الأمن من الاشتباه والزلل والوقوع في الخطأ؛ لأن طالب العلم إذا كان لديه هذه القواعد الكلية والأصول المتينة الجامعة، وعرف شيئا من جزئياتها وتفريعاتها وعرف كيف يعيد الفروع إلى الأصول، إذا عرف ذلك وضبطه أمن من الاشتباه والزلل، وأمن من الوقوع في الخطأ؛ لأن عنده أصل يرجع إليه، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– يقول: لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات؛ فيتولد فساد عظيم.

الفائدة الرابعة لتحصيل القواعد: ثبوت العلم وقوته ونماؤه، وقد عرفنا أن القاعدة للعلم بمثابة الأصل للشجرة، وإذا كان أصل الشجرة راسخا، متمكنا ثابتا، كان هذا أدعى لقوة نماء الشجرة وحسن إثمارها، وكثرة فوائدها وثمارها، فهذه فائدة عظيمة من فوائد القواعد.

يقول أهل العلم: إن الحكيم إذا تكلم في فن من الفنون أو علم من العلوم فإنه يحتاج إلى أمرين مهمين للغاية؛ ليحقق تعليمه النفع والفائدة والثمرة والأثر يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: إجمال تتشوق إليه القلوب.

والأمر الثاني: تفصيل تطمئن إليه النفوس.

وهذان الأمران ليس شيء منهما متحققا إلا بمعرفة القواعد الجامعة والأصول الكلية التي طرحها –أولا لتأصيل الأمر وتثبيت المقام– يحدث شوقا لدى طالب العلم في معرفة ما يتفرع عنها من جزئيات وفروع، وما يدخل تحتها من الأشباه والنظائر، ثم يترتب على وجود هذه القواعد عنده اطمئنان النفوس إلى الفروع التي يقررها، والجزئيات التي يبينها؛ لأنها مبنية على قواعد، ومبنية على أصول جامعة ترجع إليها.

كل هذا –معاشر الإخوة الكرام– يبين لنا أهمية العلم بالقواعد، ليس في باب الاعتقاد، وإنما في أمور الدين كلها، ولهذا ما من فن من فنون الشريعة إلا وقد كتب فيه أهل العلم قواعد نافعة

وتأصيلات جامعة أفادت ولا تزال تفيد طلاب العلم، وعندما نتحدث عن قواعد توحيد الأسماء والصفات على وجه الخصوص فإن شأنها أجل، ومقامها أرفع؛ لأنها قواعد تتعلق بمعرفة أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق.

وقد قيل: إن شرف العلم من شرف معلومه، والعلم بالأسماء والصفات هو أشرف العلوم على الإطلاق، ولهذا قواعد الأسماء والصفات التي تضبط لطالب العلم هذا العلم ويأمن بها من الزلل والخطأ، هي من أهم ما يكون، وحاجته إليها من أشد ما يكون، وابن القيم –رحمه الله– نبه على أهمية هذه القواعد بأن صدرها بقوله: فائدة جليلة، وهي حق كذلك، وجلالتها من جلالة موضوعها، وهو الكلام في صفات الله –سبحانه وتعالى– وأسمائه؛ فهي قواعد تضبط لطالب العلم هذا العلم الشريف الذي هو أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، ويأمن بها وبمعرفتها من الزلل والوقوع في ضلال المضلين وبدع المتكلمين وأهواء الزائغين القائلين على الله وفي الله وفي كتابه بغير علم.

وتتأكد معرفة هذه القواعد في مثل هذا الوقت الذي كثرت فيه شبهات أهل الأهواء وأباطيل أهل الضلال، فيتأكد على طالب العلم أن يكون على عناية ودراية بهذه القواعد النافعة والتأصيلات المفيدة التي حررها أهل العلم وجمعوها تسهيلا وتيسيرا ونفعا لطلاب العلم، ونبه مرة ثانية على أهميتها –رحمه الله– في خاتمة هذه القواعد عندما أشار إلى أهميتها، ونبه في الخاتمة أن من لا علم له بها ولا دراية له بها، فالأولى به أن يسكت في هذا الباب؛ لأن الخطأ فيه ليس كالخطأ في أمر آخر؛ عندما تخطئ أو عندما يخطئ الإنسان في أسماء الله وفي صفاته –سبحانه وتعالى– فالأمر ليس بالهين، الأمر ليس بالهين، بل هو أمر كبير وخطير للغاية، وفي هذا المقام –التنبيه على خطورة الغلط في أسماء الله وصفاته– أضرب دائما مثلين من القرآن الكريم؛ يتضح بهما خطورة هذا الأمر.

وقبل ذكرِ هذين المثلين أذكر أن توحيد الأسماء والصفات قائم عند أهل السنة على أصلين: الإثبات والنفي، كما قال الإمام أحمد –رحمه الله–: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث، وقال الأوزاعي –رحمه الله–: ندور مع السنة حيث دارت، أي: نفيا وإثباتا، فما ثبت في الكتاب والسنة أثبتناه، وما نفي في الكتاب والسنة نفيناه، فباب الأسماء والصفات هو باب إثبات ونفي، إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه.

هذا هو خلاصة هذا العلم الشريف، إثبات ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، فمن أثبت ما نفى الله أو نفى ما أثبت الله، وقع في الضلال والزيغ بأي مبرر كان، وبأي مسوغ

ذكر، إذا أثبت لله شيئا نفاه الله، أو نفى عن الله تبارك وتعالى شيئا أثبته الله، فهذا في غاية الخطورة، وضرره على الإنسان ضرر بالغ، ليس في أمر الاعتقاد فحسب، بل في أمور الدين كلها، وإلى المثلين:

المثل الأول: يتعلق بجانب الإثبات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤ ﴾ [1] **تأملْ معي الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء، ثم قارنه بأخطاء أهل الضلال والباطل الذين عطلوا صفات الله –سبحانه وتعالى– وجحدوا أسماءه.**

تأمل في الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء وما ترتب عليه: ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ ﴾ [2] **هنا نفي لشيء أثبته الله، الله ﷻ أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحاط علمه بها –سبحانه وتعالى– يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهؤلاء قالوا في حق الله: إنه لا يعلم كثيرا مما يعملون، فهل نفوا صفة العلم من أصلها أو أثبتوها؟**

أثبتوا صفة العلم لم ينفوا الصفة من أصلها بل أثبتوها، ولكنهم اعتقدوا أن علم الله –سبحانه وتعالى– الذي أثبتوه له ليس محيطا ولا شاملا، بل يفوته –تعالى الله عن قولهم– كثيرا مما يعمله الناس، ولم يقولوا أيضا يفوته كل ما يعمله الناس بل قالوا كثيرا، فلم ينفوا هذه الصفة من أصلها، ولم يجحدوها من أساسها، وإنما نفوا علم الله –سبحانه وتعالى– بكثير مما يعمله الناس.

- ١سورة فصلت آية : ٢٢-٢٤.

- ٢سورة فصلت آية : ٢٢.

قال الله ﷻ مبينا ما ترتب على هذا الظن الباطل والاعتقاد الفاسد: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ [1] **وهذه فائدة عظيمة وكبيرة أن الخطأ في باب الأسماء والصفات يردي صاحبه ويوقعه في الهلاك والردى** ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ [2] **هذه فائدة كبيرة جدا الخطأ في أسماء الله وصفاته سببٌ للردى، ردى الإنسان، ولهذا قال العلماء: إن من شؤم الاعتقاد الفاسد فساد العمل وفساد الخلق وفساد الدين والدنيا والآخرة، كل ذلك يترتب على الخطأ في هذا الباب فيما يتعلق بأسماء الله جل وعلا وصفاته** ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] **ردى وخسران وهلاك ونار كل ذلك ترتب على هذا الظن، إذا كان هذا ترتب على من وقع في هذا الاعتقاد، فكيف بمن يجحد الأسماء كلها ويجحد الصفات جميعها، ولا يثبت منها شيئا، ويخوض فيها خوضا باطلا بعقله الكاسد وفكره الفاسد ورأيه السيئ، ينفي عن الله –سبحانه وتعالى– ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ** ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [4] **فهذا في جانب الإثبات وخطورة الخطأ.**

في جانب النفي وهو المثال الثاني وهو: أن يثبت الإنسان شيئا نفاه الله، قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [5] **أثبتوا ما نفاه الله:** ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن

- ١سورة فصلت آية : ٢٣.

- ٢سورة فصلت آية : ٢٣.

- ٣سورة فصلت آية : ٢٣.

- ٤سورة البقرة آية : ١٤٠.

- ٥سورة مريم آية : ٨٨.

لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [1] **نزه –سبحانه وتعالى– نفسه عن الولد فأثبتوه له** ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] **أثبتوا لله ما نزه الله –سبحانه وتعالى– نفسه عنه، ماذا ترتب على ذلك؟ قال الله:** ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ ﴾ [3] **أي: عظيما خطيرا مهلكا في غاية الخطورة، وانظر وقع هذه الكلمة "إدا"** ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ ﴾ [4] .

فالخطأ في أسماء الله –تبارك وتعالى– وصفاته بالغ الخطورة، سواء في إثبات ما نفاه الله، أو في نفي ما أثبته الله، وفي المثلين المشار إليهما تبيان واضح لذلك.

وهذا أيها الإخوة يؤكد أمر ما سبق وأهميته أن طالب العلم بحاجة ماسة إلى معرفة القواعد والضوابط والكليات التي فيها من الفوائد والمنافع والثمار الشيء الكثير، هذه مقدمة بين يدي قراءة هذه القواعد، وهي كما عرفنا عشرون قاعدة وليست هي كل شيء في هذا الباب، ولكنها تعد مجامع قواعد هذا الموضوع وأهم القواعد التي يحتاج إليها طالب العلم في هذا الباب، وإلا القواعد التي في باب الأسماء والصفات كثيرة جدا، وكلما تزود طالب العلم منها وأفاد منها وعرفها نفعته نفعا عظيما في هذا الباب الجليل باب الأسماء والصفات نعم.

- ١سورة الإخلاص آية : ٣-٤.

- ٢سورة مريم آية : ٨٨.

- ٣سورة مريم آية : ٨٩.

- ٤سورة مريم آية : ٨٩-٩١.

أقسام ما يجري صفة أو خبرا عن الرب تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، قال المؤلف رحمه الله تعالى:
فائدة جليلة ما يجري صفة أو خبرا عن الرب تبارك وتعالى أقسام:
أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات وموجود وشيء.

قوله -رحمه الله-: فائدة جليلة، بدأ هذه الفوائد بالتنبيه على جلالتها، وقد عرفنا فيما سبق أن جلالة هذه القواعد من جلالة موضوعها، وموضوع هذه القواعد الأسماء والصفات أسماء الله وصفاته سواء في جانب التأصيل وتقرير هذا الباب، أو في جانب الرد على المبطلين ونقض كلام المخالفين، فهذه فائدة جليلة.

قال رحمه الله: ما يجري صفة أو خبرا على الرب تبارك وتعالى أقسام، ما يجري صفة، أي: ما يضاف إلى الله ﷻ على وجه الصفة والنعت، والصفة هي: المعنى القائم بالموصوف، والله جل وعلا موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال في كتابه -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فما يجري صفة على الله أي: مما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وما أخبر عنه به رسوله ﷺ في سنته، هو باب توقيفي ليس للمسلم أن يخوض فيه بشيء إلا بدليل من الكتاب والسنة، كما مر معنا من قول الإمام أحمد -رحمه الله-: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث، فما يجري صفة أو خبرا، والخبر هذا نوع آخر غير الصفة، ما يخبر عن الله تبارك وتعالى به، وهو باب أوسع من باب الصفات، وباب الصفات توقيفي، وباب الإخبار لا يلزم أن يكون توقيفيا، وإنما يخبر عن الله تبارك وتعالى بالمعاني الصحيحة، والمعاني الطيبة التي تقتضيها وتستلزمها أسماؤه وصفاته الثابتة له في كتابه، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فيخبر عن الله بما كان كذلك، ويضاف إلى الله على وجه الإخبار؛ لأن لازم كلام الله وكلام رسوله ﷺ إن صح أنه لازم حق، لازم كلام الله وكلام رسوله ﷺ إن صح أنه لازم حق يثبت، ولازم الحق حق، فالله ﷻ يخبر عنه بلوازم أسمائه وصفاته، وما تقتضيه أسماؤه وصفاته -سبحانه وتعالى- يخبر عنه بما كان من هذا القبيل.

. . . . . .

فيقول ابن القيم –رحمه الله–: ما يجري صفة أو خبرا على الرب تبارك وتعالى أقسام، وذكر تقسيما نافعا لطالب العلم، قال: أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، الذات: المراد بها الحقيقة ونفس الشيء، المراد بذات الشيء حقيقته ونفسه، وما يرجع إلى الذات أراد به ابن القيم –رحمه الله– أي ما ليس هو وصفا، أو صفة قائمة بالذات ليس معنى من المعاني قائما بالذات كالعلم والسمع والبصر ونحو ذلك من الصفات، وإنما يرجع إلى الذات نفسها كقولك: ذات وموجود وشيء، وكلها داخلة تحت باب الإخبار يخبر عن الله –سبحانه وتعالى– بها: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ [1] يخبر عنه بشيء، ويخبر عنه بشخص لا شخص أغير من الله، ويخبر عنه بأنه موجود، ويخبر عنه بأنه له ذات –سبحانه وتعالى– تليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه، فهذا نوع مما يجري صفة أو خبرا عن الله، وهذا النوع الأول هو مما يجري خبرا عن الله، أي: يخبر عن الله تبارك وتعالى به، فيخبر بأن له ذاتا، وأنه موجود، وأنه شيء، وأنه معلوم، وأنه شخص ونحو ذلك من الإخبارات التي يصح أن يخبر عن الله تبارك وتعالى بها، فهذه راجعة إلى نفس الذات أي: ليست وصفا قائما بالذات، وإنما هي راجعة للذات نفسها، ولو تأملت في هذه المذكورات تجدها كلها راجعة إلى الذات بحيث إن الذات يخبر عنها بذلك: شيء وموجود وذات ونحو ذلك، نعم.

- ١سورة الأنعام آية : ١٩.

ما يرجع إلى الصفات المعنوية من الصفات

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع.

—

نعم هذا النوع الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية، وأراد ابن القيم -رحمه الله- بقوله ما يرجع إلى صفات معنوية أي: الصفات التي دلت على معانٍ قائمة بذات الله -سبحانه وتعالى- صفات معنوية، أي: صفات دالة على معانٍ قائمة بالله جل وعلا لا تعلق لها بالمشيئة، وهو ما يعرف عند أهل العلم بالصفات الذاتية، فهنا أراد بقوله: ما يرجع إلى صفات معنوية أي: ما دلت على معانٍ قائمة بالذات لا تعلق لها بالمشيئة وهو ما يعرف بالصفات الذاتية التي لا تعلق لها بالمشيئة هذا مراده هنا بقوله: صفات معنوية، ومراده واضح من جهتين، يعني: واضح أن هذا مراده من جهتين:

أولا: من جهة الأمثلة التي أوردها، وثانيا: من جهة السياق الذي أورد فيه هذا النوع؛ لأنه ذكر الصفات المعنوية ومثل لها بالعليم القدير السميع، ثم ذكر بعد ذلك الصفات الفعلية التي لها تعلق بالمشيئة، كالخالق والرزاق ونحو ذلك، فإذًا أراد المصنف -رحمه الله- هنا بقوله: ما يرجع إلى صفات معنوية، أي: ما كانت دالة على معنى قائما بالذات لا تعلق له بالمشيئة، ومن أمثلة ذلك: العليم والقدير والسميع، فهذه كلها صفات ذاتية لله جل وعلا، والصفة الذاتية هي التي لا تنفك عن الذات ولا تعلق لها بالمشيئة.

هذا مراد ابن القيم -رحمه الله- بقوله: صفات معنوية، وليس مراده بها ما يريده المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم بالصفات المعنوية؛ لأن الصفات المعنوية عندهم ما دلت على معنى وجودي قائم بذات الله -تبارك وتعالى- وهو عندهم -أي الأشاعرة- محصور في سبع صفات تسمى بالصفات المعنوية، وهي التي بزعمهم اشتملت على معنى وجودي قائم بالله -سبحانه وتعالى- وما سوى ذلك مما جاء في الكتاب مما أضافه الله لنفسه، أو جاء في السنة مما أضافه إليه رسوله عليه الصلاة والسلام لا يثبتونه مع أن بابه وما ذكروه باب واحد، كما قال أهل العلم: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وليس ثمة فرق بين ما أثبته هؤلاء وما نفوه، فهذا تحكم منهم بلا دليل، وتعطيل لصفات الرب الكريم التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله صلوات الله وسلامه

عليه، فمراد ابن القيم بالصفات المعنوية أي: ما دلت على معان قائمة بذات الله لا تعلق لها بالمشيئة نعم.

ما يرجع إلى أفعال الرب –جل وعلا– من الصفات

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو الخالق والرازق.

—

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله، الثالث من الصفات ما يرجع إلى أفعاله، أي أفعال الرب جل وعلا وهو ما كان من الصفات متعلقا بمشيئة الله –سبحانه وتعالى– كالخالق والرزاق، والمنعم، والمحيي، والمميت ونحو ذلك من صفاته –سبحانه وتعالى– الفعلية، فيكون ابن القيم –رحمه الله– ذكر هنا وفي الذي قبله نوعي الصفات وهما:

صفات ذاتية: وهي التي لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة.

وصفات فعلية: وهي الصفات التي لها تعلق بالمشيئة كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك، قال: ما يرجع إلى أفعاله، وهذا الذي يرجع إلى أفعاله هو كذلك له معنى وجودي قائم بالله – سبحانه وتعالى– لكن له تعلق بالمشيئة، والأشاعرة والمتكلمون في هذا الباب –باب الصفات الفعلية– لا يعدونها من باب الصفات، ولا يضيفونها إلى الله تبارك وتعالى صفات له، وإثباتها عندهم لله جل وعلا يقتضي قيام الحوادث بذاته، ويبنون على ذلك أن ذلك يقتضي الحدوث، ويبنون على ذلك الجحد والتعطيل لهذه الصفات التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وهذه الصفات لما قال فيها هؤلاء ما قالوا، ورأوا وجودها في القرآن أحدثوا أمرا يتنصلون به من إضافتها إلى الله إضافة صفة، فأحدثوا تقسيما في هذا الباب ابتدعوه وابتكروه، وهو أن النوع الأول الذي أثبتوا منه سبع صفات سموه: صفات معنوية، فهذا يطلقون عليه أنه صفة، أما النوع الآخر وهو صفات الأفعال فأطلقوا عليه لقب: الوصف، ولهذا يقولون: صفات وأوصاف وصفة ووصف، والوصف عندهم في الحقيقة ليس فيه معنى وجودي قائم بالموصوف؛ ولهذا أحدثوا هذا الاصطلاح فرارا من إثبات قيام هذه الصفات بالله تبارك وتعالى، وهذا كلام باطل، وقول فاسد، وقول على الله تبارك وتعالى بلا علم، وغايته جحد وتعطيل لما أثبته الله جل وعلا لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ .

.....

—

.....

—

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام من الصفات الذاتية والصفات الفعلية، ويقولون: كل ذلك حق كما أخبر الله، وكما أخبر رسوله عليه الصلاة والسلام نعم.

صفات التنزيه المحض

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتا؛ إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض أي: تنزيه الله –تبارك وتعالى– عما لا يليق به، وكذلك تنزيهه –تبارك وتعالى– عن مماثلة خلقه، فباب التنزيه يتناول هذين الأمرين: تنزيه الرب جل وعلا عن النقائص والعيوب، وتنزيهه –سبحانه وتعالى– عن مماثلة المخلوقات.

تنزيهه عن النقائص كقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ [3] **ونحو ذلك، وتنزيهه –تبارك وتعالى– عن مماثلة المخلوقات كما في قوله –سبحانه–:** ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [4] **وقوله –سبحانه وتعالى–:** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [5] **وقوله –سبحانه وتعالى–:** ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [6].

- ١سورة ق آية : ٣٨.

- ٢سورة فصلت آية : ٤٦.

- ٣سورة المائدة آية : ٦٤.

- ٤سورة مريم آية : ٦٥.

- ٥سورة الشورى آية : ١١.

- ٦سورة الإخلاص آية : ٤.

واسم الله القدوس وكذلك اسمه السلام عائدان إلى هذا أي: باب التنزيه، فالسلام من السلامة، فالسلام أي السالم من النقص والعيب، والقدوس من التنزيه أي: المنزه عن النقائص والعيوب، وعما لا يليق بجلاله وكماله –سبحانه وتعالى–.

.....

ونبه –رحمه الله– أن هذا النوع لا بد من تضمنه ثبوتا، أي: إنه ليس نفيا صرفا، وإنما هو نفي متضمن لمعنى ثبوتي، وهذه قاعدة في باب النفي قررها أهل العلم ألا وهي: أن كل نفي في القرآن أو السنة في صفات الله –تبارك وتعالى– فإنه متضمن لثبوت كمال ضد المنفي لله –سبحانه وتعالى– أي: إنه ليس نفيا صرفا، بل كل نفي في الكتاب والسنة يتضمن ثبوت كمال ضد المنفي، نفي الظلم يتضمن ثبوت كمال العدل، نفي اللغوب يتضمن ثبات كمال القوة، نفي السنة والنوم يتضمن كمال القدرة والقوة والحياة والقيومية، وهكذا..

فكل ما نفاه الله –تبارك وتعالى– عن نفسه، فإنه يتضمن معنى ثبوتي، ولو لم يكن متضمنا معنى ثبوتيا لم يكن مدحا، بل هو عدم، النفي الصرف عدم، والعدم ليس بشيء، فالنفي الذي جاء في الكتاب والسنة كله نفي متضمن لثبوت كمال الضد كمال ضد المنفي، ولهذا نبه المصنف على ذلك بقوله: "ولا بد من تضمنه ثبوتا؛ إذ لا كمال في العدم المحض" أي: لو لم يكن متضمنا لثبوت فإنه عدم، والعدم لا كمال فيه، الكمال في المعاني الثبوتية التي يفيدها النفي، وسيأتي مزيد توضيح لهذا عند ابن القيم –رحمه الله– نعم.

الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة من أسمائه سبحانه

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل هو دال على معان لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظ يدل على هذا فإنه موضع للسعة والكثرة والزيادة، ومنه قولهم: في كل شجر نار، واستنجد المرخ والعفار، وأمجد الناقة علفا، ومنه: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه، وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يحسن: إنك أنت السميع البصير، فهو راجع إلى المتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه، ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام ومنه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام .

فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعا عند المسئول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارة، وقد فتح لمن بصره الله، ولنرجع إلى المقصود وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفات عديدة فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من

- 1سورة البروج آية : ١٥.

صفات الكمال، وكذلك الصمد، قال ابن عباس: هو السيد الذي كمل في سؤدده، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده، وقال عكرمة: الذي ليس فوقه أحد، وكذلك قال الزجاج: الذي ينتهي إليه السؤدد فقد صمد له كل شيء، وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم، واشتقاقه يدل على هذا فإنه من الجمع والقصد فهو الذي اجتمع القصد نحوه، واجتمعت فيه صفات السؤدد، وهذا أصله في اللغة كما قال:

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد بعمرو بن يربوع وبالسيد الصمد

والعرب تسمي أشرافها بالصمد؛ لاجتماع قصد القاصدين إليه، واجتماع صفات السيادة فيه.

—

هنا أشار ابن القيم –رحمه الله– إلى نوع آخر مما يجري صفة على الله –سبحانه وتعالى– وقال: لم يذكره أكثر الناس، وهو الاسم الدالّ على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، المعروف في الأسماء دلالة الاسم على الصفة التي تظهر من الاسم: العليم العلم، السميع السمع، البصير البصر، الرحيم الرحمة، الغفور المغفرة وهكذا، لكن يقول ابن القيم: هناك من أسماء الله –تبارك وتعالى– ليس من هذا القبيل دالا على صفة واحدة، وإنما دال على عدة صفات؛ اسم واحد لكنه دال على عدة صفات الأسماء التي مثلت لها أسماء كل واحد منها دال على صفة: العليم العلم، السميع السمع، البصير البصر، لكن يقول ابن القيم: هناك نوع من الأسماء ليس دالا على صفة واحدة أو معنى واحد، وإنما هو دال على صفات عديدة لا على معنى مفرد، قوله: لا على معنى مفرد أي: كالعليم دال على العلم، السميع السمع، البصير البصر، فهذه أسماء دالة على معنى مفرد أو معنى واحد أو صفة واحدة.

....

ـــ

ثم مثل لهذا النوع بالمجيد والعظيم، والصمد، وهكذا أيضا السيد وأيضا الكبير، وأسماء أخرى لله جل وعلا هي ليست دالة على معنى واحد، وإنما هي دالة على معان أو على عدة صفات، يوضح ذلك ابن القيم –رحمه الله– فيقول:

فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، المجيد اسم من أسماء الله، وهو دال على المجد، والمجد معناه في اللغة: السعة، واستشهد على ذلك بكلام العرب، قالوا: أمجد الناقة علفا، يعني أوسع لها في العلف، وأكثر لها في العلف، وهذا إذا كثر الرعي وكثر الخير، يحصل مثل هذا، قال: أمجد الناقة علفا أي: أوسع لها وأكثر لها في العلف وهو الطعام الذي تطعمه.

وأيضا ذكروا مثالا آخر، قال تقول العرب: في كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار، المرخ والعفار نوعان من الشجر، وتستعملها العرب قديما للإشعال، إيقاد النار؛ لأنها سريعة الوري سريعة الإيقاد فكانوا يستعملونها لإيقاد النار لسرعة اشتعالها، وإذا كثر هذا النوع من الشجر يكون مثل هذه الكلمة، استمجد المرخ والعفار، يعني كثر، فإذًا هذه الكلمة في دلالتها في اللغة هي دالة على الكثرة والسعة.

قال: ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، قال ومنه قولهم: أي قول العرب في كل الشجر نار، واستمجد المرخ والعفار، ومعنى قولهم استمجد أي كثر، وأيضا قولهم: وأمجد الناقة علفا أي أكثر لها العلف، قال ومنه: { ذو العرش المجيد } بالخفض للمجيد على أنه صفة للعرش وهي قراءة، فالمجيد صفة للعرش، ووصف العرش بالمجد هو وصف له بالسعة، والكبر والعظمة، يدل على هذا وصف العرش بالمجيد؛ لأن هذا لفظ يدل على السعة، فإذًا هو ليس اسم دال على وصف مفرد أو معنى معين، وإنما دال على ماذا؟ على معان، فلما يأتي في أوصافه – سبحانه وتعالى– المجد الذي دل عليه اسمه المجيد هذا يدل على كثرة نعوت كماله وتعدد أوصاف جلاله – سبحانه وتعالى– وعظمته وجلاله وكبريائه، فهو ليس اسما دالا على وصف مفرد، وإنما هو دال على معانٍ وهذا كما مر مستفاد من مدلول هذه اللفظة ومن معناها في اللغة، قال ومنه: { ذو

العرش المجيد } صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه. إذًا هذه معاني عديدة أفادها هذا الوصف.

.....

ثم قال –رحمه الله–: وتأمل كيف جاء هذا الاسم المجيد مقترنا بطلب الصلاة من الله على رسوله ﷺ كما علمناه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، هنا يشير ابن القيم إلى قاعدة ذكرها هو وذكرها غيره من أهل العلم أن الداعي ينبغي أن يلحظ في دعائه الاسم المناسب لمطلوبه؛ فيتوسل إلى الله –تبارك وتعالى– باسم يتناسب مع المطلوب، لأنه إذا لم يفعل ذلك يقول ابن القيم: يحصل تنافر بين الكلام، فينبغي على الداعي أن يلاحظ الاسم المناسب لمطلوبه: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [1] ولما يسأل المسلم ربه المغفرة يتوسل باسمه الغفور، الرحمة الرحيم وهكذا، والرزق الرزاق، وهكذا يتوسل إلى الله –تبارك وتعالى– باسم يناسب مطلوبه، وإلا يحدث تنافر بين المطلوب وبين ما توسل به من أسماء الله –تبارك وتعالى– وصفاته.

قال هنا: فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، المطلوب هنا ما هو؟ المطلوب هنا: سعة وزيادة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، والصلاة الدعاء، فصل على محمد هنا طلب زيادة في الشرف والقدر والمكانة والمنزلة فالمقام مقام سعة، فأتى باسم من أسماء الله –تبارك وتعالى– يتناسب مع المطلوب، قال: الحميد المجيد، والحميد أيضا هو من هذا القبيل الأسماء الدالة على معان، الحميد دال على الحمد، والله ﷻ يحمد لكمال أسمائه وكمال صفاته ولنعمه وعطاياه ومننه –سبحانه وتعالى– التي لا تعد ولا تحصى، فأتى هنا باسم يناسب المطلوب قال كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، لو قال قائل: اغفر لي وارحمني إنك أنت شديد العقاب، حصل تنافر بين المطلوب والوسيلة التي ذكرها.

- ١سورة الأعراف آية : ٨٩.

ولهذا ينبغي على السائل والمتوسل أن يتوسل إلى الله –تبارك وتعالى– من أسمائه وصفاته بما يناسب مطلوبه، المطلوب هنا سعة وزيادة وكثرة، فاختار من الأسماء ما يناسب هذا المطلوب فقال: إنك أنت الحميد المجيد، وهذه قاعدة لطيفة ومهمة في باب الدعاء، وهي أيضا نبه عليها العلماء في

.....

—

الآيات التي في القرآن مختومة بأسماء وصفات لله –سبحانه وتعالى– وممن يعني أطال في تقرير هذه القاعدة وضرب لها أمثلة كثيرة العلامة ابن سعدي –رحمه الله– في كتابه "القواعد الحسان لآي القرآن" ذكر قاعدة عظيمة في هذا الباب، وابن القيم قبل ذلك ذكرها في كتاب "إعلام الموقعين" وذكرها غيرهم من أهل العلم، وهي أن كل آية ختمت باسم من أسماء الله الحسنى أو أكثر فللاسم الذي ختمت به تعلق بماذا؟ بالمعنى المذكور في الآية، كل آية ختمت باسم من أسماء الله أو أكثر فللاسم الذي ختمت به الآية تعلق بالمعنى المذكور في الآية، وهذا مضطرد في جميع الآيات.

وذكر الشيخ عبد الرحمن لما قرر هذه القاعدة في كتابه "القواعد الحسان" ذكر أمثلة كثيرة جدا، وحقيقة عندما تقرأ هذه القاعدة وتقرأ أمثلتها تفيدك فائدة عظيمة في تدبر القرآن وفهم أسماء الله وصفاته، وربط هذه الأسماء بما تقتضيه من العبودية والذل والخضوع لله جل وعلا، ومعرفة الأحكام والشرائع ودين الله ففيها فوائد عظيمة وجليلة القدر لا يدركها إلا من عانى هذا الأمر وتأمله وعرفه، وكما ذكرت الشيخ عبد الرحمن –رحمة الله عليه– ذكر هذه القاعدة؛ فهي قاعدة في الآيات، وهي أيضا قاعدة في باب الدعاء.

وأذكر ابن القيم –رحمه الله– أورد في هذا المقام قصة طريفة قصة الأعرابي الذي سمع قارئا من حفاظ القرآن يقرأ قول الله سبحانه وتعالى: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله إن الله غفور رحيم} فالأعرابي وهو يسمع هذا الكلام لم يطمئن لما سمع، قال: ليس هذا كلام الله، قال: تنكر كلام الله، قال: لا، لكن ليس هذا كلام الله، {فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله إن الله غفور رحيم}، قال: ليس هذا كلام الله، فكأن القارئ انتبه وراجع قراءته: ﴿

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٣٨ ﴾ [1]

قال: نعم عز فعدل فحكم فقطع، يعني يمشي هذا، أما غفور رحيم في هذا السياق فيه تنافر، أدرك ذلك بفطرته،

....

ولهذا الآيات في القرآن دائما مختومة بما يتناسب مع المعنى المذكور، والدعوات ينبغي أن تختم بما يتناسب مع المطلوب.

الشاهد أن المطلوب هنا أمر يتعلق بالسعة والكثرة والزيادة، فذكر عليه الصلاة والسلام اسما يناسب فقال: إنك أنت الحميد المجيد، نعم.

قال: ولا يحسن إنك أنت السميع البصير؛ فهو راجع إلى المتوسل إليه بأسمائه وصفاته وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه أي: أن يراعى ما تقدم.

قال: ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: (ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام) ومنه: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام) فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعا عند المسئول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارة، وقد فتح لمن بصره الله.

قال: ولنرجع إلى المقصود وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفات عديدة، مثل لنا بالمجيد، وأوضح المثال ببعض الشواهد ثم ذكر هنا المثال الثاني، قال: فالعظيم هو المثال الثاني على الترتيب الذي ذكره سابقا.

قال: فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة، العظيم ليس اسما دالا على معنى مفرد أو صفة واحدة، وإنما هو دال على اتصافه بصفات كثيرة من صفات الكمال، وكذلك الصمد أيضا دال على اتصافه بصفات كثيرة من صفات الكمال، وذكر الشاهد على ذلك قال: قال ابن عباس: هو السيد الذي

- ١سورة المائدة آية : ٣٨.

كمل في سؤدده، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى إليه سؤدده، وقال عكرمة: الذي ليس فوقه أحد، وقال الزجاج: الذي ينتهي إليه السؤدد فقد صمد له كل شيء، وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم، قال: واشتقاقه يدل على هذا فإنه من الجمع والقصد فهو الذي اجتمع القصد نحوه، واجتمعت فيه صفات السؤدد، وهذا أصله في اللغة كما قال:

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد .....

.....

—

يعني: بنعي خيري بني أسد، وهما اثنان: يعني: بنعي خيري بني أسد، وهما اثنان:

..... بعمرو بن يربوع وبالسيد الصمد

والشاهد هنا قوله: السيد الصمد، ولقب بذلك لأنه اجتمعت فيه أوصاف حميدة عند قومه، وأصبح مرجعا إليهم، أصبح –نعم– مرجعا لهم ويثقون به ويطمئنون إليه، ولهذا لقبوه بهذا اللقب: بالسيد والصمد.

قال: والعرب تسمي أشرافها بالصمد لماذا؟ لاجتماع قصد القاصدين إليه واجتماع صفات السيادة فيه، إذًا وصف الله أو اسم الله السيد ما هي الصفة التي دل عليها؟ ما هي الصفة؟ هل هي صفة مفردة، أو أنه اسم دال على كمال الله في علمه، كماله في حكمته، كماله في رحمته، كماله في عزته، كماله في إنعامه، كماله في إكرامه، السيد الذي كمل في سؤدده، واجتمعت فيه صفات الكمال، وأيضا اجتمع قصد القاصدين إليه فيلتجئون إليه، ويقصدونه في حاجاتهم وملماتهم وطلباتهم، فإذًا هذا نوع من الأسماء أسماء الله –تبارك وتعالى– ليس دالا على اسم مفرد، وإنما هو دال على صفات عديدة نعم.

الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فإنه من أشرف المعارف.

—

ثم ذكر هذا النوع السادس وهو صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر عرفنا فيما سبق أن الاسم الذي يدل على وصف مفرد يثبت منه هذا الوصف المفرد الذي دل عليه فنثبت من العليم العلم، ومن الحكيم الحكمة، أو الحُكْم، والعزيز العزة، والرحيم الرحمة، لكن هنا ثمة نوع آخر وهو اقتران اسمين معا في موضع واحد، فهذا الاقتران يفيد قدرا زائدا، قدرا زائدا على ماذا؟ على دلالة الاسم بمفرده، فهو بمفرده يدل على صفة واحدة، لكن إذا اقترن الاسم بغيره دل بهذا الاقتران على قدر زائد.

يقول ابن قيم مشيرا إلى هذا القدر الزائد: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما، نحو الغني الحميد، الغني يدل على الغنى والحميد يدل على الحمد، واقترانهما يدل على أن غناه –تبارك وتعالى– عن حمد وحمده عن غنى، جل وعلا، غناه عن حمد وحمده عن غنى، والعفو القدير اقتران الاسمين يدل على أن عفوه عن قدرة، وقدرته عن عفو –سبحانه وتعالى– فثمة قدر زائد يدل عليه الاقتران، فالعفو عفوه –سبحانه وتعالى– ليس عن عجز، بل عن قوة وعن قدرة جل وعلا، وعن كمال، الاسم بمفرده يدل على صفة، وباقترانه باسم آخر قدر زائد يدل عليه هذا الاقتران.

قال: العفو القدير والحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من

. . . . . .

—

حمده، وثناء من اجتماعهما اجتماع غناه –سبحانه وتعالى– وحمده، وكذلك العفو القدير والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف نعم.

صفات السلب المحض ليست من أوصافه تعالى

وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لكمال ثبوت، كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية، والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب إنما هو لتضمنها ثبوتا، كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [1] فإنه متضمن لكمال حياته وقيوميته، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ۝٣٨ ﴾ [2] متضمن لكمال قدرته، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ ﴾ [3] متضمن لكمال علمه، وكذلك قوله: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ ﴾ [4] متضمن لكمال صمديته وغناه، وكذلك قوله: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [5] متضمن لتفرده بكماله، وأنه لا نظير له، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [6] متضمن لعظمته، وأنه جل عن أن يدرك بحيث يحاط به، وهذا مضطرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب.

- ١سورة البقرة آية : ٢٥٥.

- ٢سورة ق آية : ٣٨.

- ٣سورة يونس آية : ٦١.

- ٤سورة الإخلاص آية : ٣.

- ٥سورة الإخلاص آية : ٤.

- ٦سورة الأنعام آية : ١٠٣.

. . . . . .

هنا ابن القيم –رحمه الله– رجع لبيان ما يتعلق بالقسم الرابع، والقسم الرابع ما يرجع إلى التنزيه، ونبه هناك أن هذا النوع لا بد من تضمنه ثبوتا؛ إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام، فهنا أوضح هذه المسألة، وبينها بذكر الأمثلة المبينة للمقصود.

قال: وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت، السلب المحض أي النفي الصرف، النفي الخالص، النفي الصرف، أو النفي الخالص الذي لا يتضمن معنى ثبوتيا، فما كان من هذا القبيل لا يدخل في أوصاف الله –سبحانه وتعالى– لأنه عدم، النفي الصرف عدم، والعدم ليس بشيء؛ فلا يدخل في صفات الله –سبحانه وتعالى– إذًا قاعدة هذا الباب: أن كل نفي ورد في القرآن فهو متضمن ثبات أو ثبوت كمال ضد المنفي لله جل وعلا.

قال: وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت، يعني: إلا أن تكون متضمنة لمعنى ثبوتي وهو ماذا؟ المعنى الثبوتي كمال ضد المنفي، نفي الظلم نثبت منه كمال العدل، نفي اللغوب ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] نثبت منه كمال القوة والقدرة ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [2] نثبت منه كمال قوته وقدرته نفي العجز، وهكذا يعني: كل نفي متضمن لمعنى ثبوتي، والمعنى الثبوتي هنا هو كمال ضد المنفي.

وهنا تأخذ فائدة لطيفة ومهمة أن من طرق إثبات الصفات لله –سبحانه وتعالى– ماذا؟ من طرق إثبات الصفات لله –سبحانه وتعالى– استخراجها من ضد المنفي، يعني: أنت تستطيع أن تثبت لله كمال العدل مستدلا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [3] تقول: نثبت لله

- ١سورة ق آية : ٣٨.

- ٢سورة فاطر آية : ٤٤.

- ٣سورة فصلت آية : ٤٦.

....

—

العدل لقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] ونثبت لله القوة لقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ ﴾ [2] نثبت له القدرة وكمالها من قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] وهكذا في عموم الصفات المنفية.

إذن هنا فائدة أننا نستطيع أن نثبت الصفة من خلال النفي؛ لأنه لا يوجد في النفي نفي صرف، بل كل نفي متضمن لمعنى ثبوتي، وإذا عرفنا هذا فإن السبل لمعرفة الصفات على ضوء الأدلة وإثباتها لله أربعة؛ أربعة طرق من خلالها تثبت الصفات لله –سبحانه وتعالى–:

الطريق الأولى: من خلال الاسم، كل اسم دال على صفة كمال.

والطريقة الثانية: التنصيص على الصفة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ ﴾ [4] العزة نثبتها من قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ ﴾ [5] ونثبتها من اسمه "العزيز"، هاتان طريقتان، فتثبت الصفة من الاسم، وتثبت الصفة بأن ينص عليها.

والطريقة الثالثة: أن تثبت الصفة من خلال الفعل الدال عليها، فمثلا الاستواء نثبته من قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [6] فعل دل على الصفة، النزول نثبته من قوله: ﴿ ينزل ربنا ﴾ الرضا من

- ١سورة فصلت آية : ٤٦.
- ٢سورة فاطر آية : ٤٤.
- ٣سورة ق آية : ٣٨.
- ٤سورة المنافقون آية : ٨.
- ٥سورة المنافقون آية : ٨.
- ٦سورة الأعراف آية : ٥٤.

. . . .

—

قوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ [1] الضحك من قوله عليه الصلاة والسلام: "ضحك ربنا" وهكذا، فتثبت الصفة من الفعل الدال على الصفة، فهذه ثلاث طرق.

والطريقة الرابعة: ما هي؟ من النفي: فكل نفي نثبت منه كمال ضده لله -سبحانه وتعالى- فهذه أربع طرق لإثبات الصفات.

وبهذه المناسبة يعني ما أدري هل هي أطرحها مسابقة ولا تنافس بينكم ما أدري أيش تكون ولكن أريد تراجعون الآيات في القرآن الكريم، وتستخرجون يعني صفات بهذه الطرق الأربعة، بحيث كل صفة يعني مثلا لو اخترت صفة "العزة" تثبتها لله -سبحانه وتعالى- بالطرق الأربعة، تذكر أدلة عليها بالطرق الأربعة، يعني: بطريق دلالة الاسم، وطريق دلالة التنصيص على الصفة، وطريق أيضا دلالة الفعل، وطريق كمال ضد المنفي، فبمراجعة الآيات يعني لعلكم وإن كان عندكم وقت أنا أعرف البرنامج حافل، ولكن إن وجدتم وقتا تشتغلون بهذا وفيه فائدة، يعني: جربه عدد من الإخوان ووجدوا فيه فائدة كبيرة جدا، وإن لم تجدوا وقتا فتضعون برنامجا لكم ولو لاحقا فيما بعد إن شاء الله.

قال: أن تكون متضمنة لثبوت وبدأ يسوق الأمثلة، قال: كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية، لعلنا نقف هنا حتى ما نطيل على الإخوان، ومن الغد نعود إلى قول المصنف إن شاء الله: وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى.

وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد والإعانة على كل خير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

- 1سورة المائدة آية : 119.

أما بعد: أيها الإخوة من الدعوات العظيمة الثابتة عن نبينا ﷺ -وكل دعواته عظيمة- ما جاء في الصحيحين، أنه ﷺ كان يقول في دعائه: « اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون » .

هذه أيها الإخوة دعوة عظيمة جدا، وكل واحد منا يحتاج إليها حاجة ماسة، ولا سيما وأن أسباب الضلال والانحراف والزيغ كثيرة جدا في هذا الزمان، وهذا الحديث أو هذه الدعوة، كما أن فيها التجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- بالنجاة من الضلال والسلامة منه، ففيها تعليم للنهج الذي ينبغي أن يسلكه المسلم لينجو به بإذن الله -تبارك وتعالى- من الضلال، وكلنا نعلم كما جاء في الحديث أن الله -سبحانه وتعالى- يقول: « يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم » هدايتك بيد الله، صلاحك بيد الله، ثباتك على الخير بيد الله: « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن » فالاستقامة والسير على الجادة ولزوم الصراط المستقيم، هذا بيد الله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [1] فكيف يكون هذا الثبات؟ وكيف تكون النجاة من الضلال؟

جاء في هذا الحديث بيان ذلك، وأن النجاة من الضلال تتحقق بأمرين:

الأمر الأول: كما في أول الحديث: "لك أسلمت، بك آمنت، عليك توكلت، إليك أنبت، بك خاصمت" وهذه أعمال لك أنت أيها العبد يجب عليك أن تجاهد نفسك على لزومها وحفظها، والمحافظة عليها، وهي تتطلب منك أولا: تحصيل العلم النافع؛ لتتعلم فيه الإسلام، والإيمان، والتوكل والإنابة، وحسن الالتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- ثم تحقق هذا العمل تحقق هذا العلم، ويكون عملا صالحا لك، منبنيا على العلم النافع الذي تلقيته وحصلته، ثم الأمر الثالث: تجعل هذا وسيلة لك عند الله -تبارك وتعالى- بأن ينجيك من الضلال: « اللهم لك أسلمت، وبك آمنت،

- 1سورة إبراهيم آية : ٢٧.

وعليك توكلت،

....

—

وإليك أنبت وبك خاصمت » هذه وسائل بين يدي الدعاء، والدعاء: « أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون » .

فالحديث يفيدنا فائدة عظيمة أن معرفة العبد لدين الإسلام وشرائعه وحقائق الإيمان وعقائده وأخلاق الدين وآدابه تعلمه لها وتحقيقه لها وعنايته بها علما وعملا وتطبيقا، هذه هي الوسيلة العظيمة النافعة له بين يدي الله –تبارك وتعالى– في مناجاته لينجو من الضلال، وليسلم من الهلاك، وكذلك معرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته.

وانظر هذا في قوله عليه الصلاة والسلام: « أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون » فمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وتحقيق توحيده، كما قال: لا إله إلا أنت، هذه كلها وسائل عظيمة، ونافعة للعبد في تحقيق الثبات والسلامة من الضلال، وأسأل الله –جل وعلا– أن يكتب لنا ولكم جميعا الهداية والتوفيق، وأن يعيذنا من الضلال، وأن يأخذ بنواصينا إلى صراطه المستقيم إنه –تبارك وتعالى– سميع مجيب قريب نعم.

صفات السلب المتضمنة لثبوت صفة ما

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت، كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب إنما هو لتضمنها ثبوتا، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [1] فإنه متضمن لكمال حياته وقيوميته، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ۝٣٨﴾ [2] متضمن لكمال قدرته، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ [3] متضمن لكمال علمه، وكذلك قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣﴾ [4] متضمن لكمال صمديته وغناه، وكذلك قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [5] متضمن لتفرده بكماله، وأنه لا نظير له، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [6] متضمن لعظمته، وأنه جل عن أن يدرك بحيث يحاط به، وهذا مضطرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب، ويجب أن يعلم هنا أمور.

- ١سورة البقرة آية : ٢٥٥.
- ٢سورة ق آية : ٣٨.
- ٣سورة يونس آية : ٦١.
- ٤سورة الإخلاص آية : ٣.
- ٥سورة الإخلاص آية : ٤.
- ٦سورة الأنعام آية : ١٠٣.

قوله -رحمه الله-: وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى، إلا أن تكون متضمنة لثبوت، هذا كما عرفنا يعد قاعدة في باب النفي، وباب النفي هو أحد ركني توحيد الأسماء والصفات، توحيد الأسماء والصفات يقوم على إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام من صفات الكمال، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص، فهذه القاعدة تتعلق بالصفات المنفية، والقاعدة هنا أن: كل صفة نفيت عن الله -تبارك وتعالى- فالنفي فيها ليس نفيا صرفا أو نفيا محضا، وإنما هو نفي متضمن لثبوت.

والمراد بقوله: متضمن لثبوت أي: متضمن لثبوت كمال ضد المنفي، فالصفة المنفية لها ضد فيؤخذ من نفي هذه الصفة ثبوت كمال ضدها لله -سبحانه وتعالى- لأن النفي الصرف عدم، والعدم ليس بشيء، ولا يدخل في صفات الله - تبارك وتعالى- ومدائحه والثناء عليه، فإذًا القاعدة في هذا الباب: أن النفي في باب الصفات ليس نفيا محضا أو نفيا صرفا، وإنما هو نفي متضمن لثبوت كمال الضد لله -سبحانه وتعالى- كمال الضد أي: كمال ضد المنفي فمثلا نفي اللغوب وهو التعب عنه - سبحانه وتعالى- هذا ليس نفيا صرفا، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١) وإنما هو نفي متضمن لثبوت كمال قوة الله سبحانه وتعالى، وكذلك نفي الظلم عنه -جل وعلا- في قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٢) ليس نفيا صرفا، وإنما هو نفي متضمن لثبوت كمال العدل لله - جل وعلا- وهكذا قل في كل الصفات المنفية.

لما ذكر المصنف هذه القاعدة في النفي أشار في كلامه إلى أن النفي في باب الصفات له طريقان:

- ١سورة ق آية : ٣٨.

- ٢سورة فصلت آية : ٤٦.

الطريق الأول: من خلال الأسماء الحسنى التي هي أسماء تنزيه وتقديس ونفي للنقائص عن الله تبارك وتعالى، كاسمه تبارك وتعالى "الأحد"، وكاسمه سبحانه وتعالى "القدوس"، "والسلام"، ونحو هذه

.....

الأسماء فهذه كلها أسماء تنزيه، وقد مر معنا هذا الإشارة إلى هذا عند المصنف –رحمه الله– في أقسام ما يجري صفة أو خبرا على الله – تبارك وتعالى– فذكر منها أسماء التنزيه، والمراد بأسماء التنزيه أي: الأسماء التي تدل على تنزيه الله، "فالقدوس" اسم يدل على التقديس، وهو التنزيه لله – جل وعلا– عما لا يليق به، "والسلام" أيضا يدل على السلامة من النقص والعيب، "والأحد" يدل على التفرد وانتفاء المثيل، وأنه –سبحانه وتعالى– لا مثل له، قال: ﴿ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ [1] ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [2] فهو لا مثيل له.

فاسمه الأحد يدل على تفرده، وأنه –سبحانه وتعالى– لا مثيل له في أسمائه وصفاته ففيه تنزيه الله –جل وعلا– عن المثيل. فإذًا هذه الطريقة في معرفة النفي في الصفات عن طريق الأسماء الحسنى الدالة على النفي، وهذه مثَّل لها المصنف –رحمه الله– بقوله: كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية، وهذا التفرد فيه نفي الشرك، ونفي المثيل، ونفي النظير، ونفي العديل، كل ذلك يدل على نفيه اسمه الأحد –جل وعلا– وكذلك اسمه السلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، والسلام يدل على السلامة من النقص والعيب، وكذلك القدوس، من أسماء التنزيه فهذا نوع.

النوع الثاني: ما أشار إليه ابن القيم –رحمه الله– بقوله: وكذلك الإخبار عنه بالسلوب: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ ﴾ [3] ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ ﴾ [4] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ ﴾ [1]

- ١سورة الجن آية : ٢٢.

- ٢سورة الإخلاص آية : ٣-٤.

- ٣سورة الإخلاص آية : ٣.

- ٤سورة فصلت آية : ٤٦.

. . . . . .

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ ﴾ [٢] إلى غير ذلك، الإخبار عنه بالسُّلوب هذا أيضًا من هذا الباب باب صفات السلب أو صفات النفي، إذًا صفات النفي تعلم من جهة أسماء التنزيه، وتعلم من جهة الإخبار عنه –تبارك وتعالى– بالسلوب، والسلب هو النفي.

والنفي يتناول أمرين: نفي النقائص والعيوب عنه –سبحانه وتعالى– ويتناول نفي المثيل والنظير، ومن الأول قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٣] ومن الثاني قوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [٤] وقوله: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [٥] قال: وكذلك الإخبار عنه بالسلوب إنما هو لتضمنه ثبوتًا، ثم ساق أمثلة عديدة، قال كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [٦] فإنه متضمن لكمال حياته وقيوميته، وكذلك قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٧] متضمن لكمال قدرته، وكذلك قوله:

- ١سورة فاطر آية : ٤٤.

- ٢سورة البقرة آية : ٧٤.

- ٣سورة ق آية : ٣٨.

- ٤سورة الشورى آية : ١١.

- ٥سورة الإخلاص آية : ٤.

- ٦سورة البقرة آية : ٢٥٥.

- ٧سورة ق آية : ٣٨.

﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ ﴾ [1] **متضمن لكمال علمه، وكذلك قوله:** ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ ﴾ [2] **متضمن لكمال صمديته وغناه، وكذلك قوله:**

.....

﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [3] **متضمن لتفرده بكماله، وأنه لا نظير له، وكذلك قوله تعالى:** ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [4] **متضمن لعظمته وأنه جل عن أن يُدرَك بحيث يحاط به، فهذه كلها فيها الإخبار عنه بالسلوب، وهو ليس نفيًا صِرفًا، وإنما هو نفي متضمن لثبوت كمال الضد لله تبارك وتعالى.**

وهذه الطريقة التي عليها أهل السنة والجماعة في هذا الباب مخالفة تمامًا لطريقة أهل البدع الذين يكثر عندهم الإخبار عن الله –تبارك وتعالى– بالسلوب دون أن يكون هذا الإخبار متضمنًا لمعنى ثبوتيّ يليق بالله وبجلاله وكماله، بل هو في الغالب سلب متضمن للجحد والتعطيل، جحد الكمال ونفي الصفات لله جل وعلا؛ ولهذا ينبغي أن يتنبه لهذا الأمر فيما يكون من أهل الكلام مما يسمونه هم تنزيهًا وهو في الحقيقة تعطيل، تعطيل لله جل وعلا.

ولهذا قال أحد أهل العلم في التنزيه الذي يقع من هؤلاء أو يسمونه تنزيهًا، قال: فانظر إلى تنزيه المعطلة، أو انظر إلى تنزيه المتكلمين كيف أدى بهم إلى التعطيل حتى إن بعض المعتزلة يقول في تسبيحه لله –جل وعلا– سبحان المنزه عن الصفات، فيجعلون تسبيحهم وتنزيههم وتقديسهم لله –

- ١سورة يونس آية : ٦١.

- ٢سورة الإخلاص آية : ٣.

- ٣سورة الإخلاص آية : ٤.

- ٤سورة الأنعام آية : ١٠٣.

جل وعلا– تعطيلًا لصفاته، وجحدًا لها فشتان بين الطريقتين، وفرق بين السبيلين سبيل أهل الحق والهدى أهل السنة والجماعة، وسبيل أهل الأهواء والبدع والضلال. نعم .

الإخبار عنه سبحانه وتعالى لا يستلزم إثباتا أو نفيا في أسمائه وصفاته

قال –رحمه الله تعالى–: ويجب أن يعلم هنا أمور أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه –تعالى– أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

—

قوله رحمه الله: "ويجب" أي: على من اشتغل بهذا العلم واعتنى به وبتفاصيله وتفريعاته وتكلم في هذا الباب فإنه يجب عليه أي: يتعين عليه أن يكون على علم بهذه القواعد وعلى دراية بهذه الأصول؛ ليكون كلامه بعلم وعدل، وليكون خوضه في التفاصيل مبنيًّا على تأصيلٍ وتقعيدٍ في الباب يعيد فيه جزئيات هذا الموضوع وتفاصيله إلى كلياته وأصوله، فيأمن بذلك من الخطأ، ويسلم به بإذن الله من الزلل، ولهذا قال المصنف: يجب.

والمراد بالوجوب هنا أي على من اشتغل بهذا العلم واعتنى بتفاصيله والكلام فيه، فإن من اشتغل بهذا الباب يجب عليه أن يُعنَى بهذه القواعد، وأن يتقن هذه الأصول ليكون كلامه في هذا الباب مبنيًّا على علمٍ وبعدلٍ، وإلا كما قال ابن القيم في خاتمة هذه الأصول في تمام الرسالة كما سيأتي معنا، قال: وإلا فالسكوت أولى بك، يعني أن تسكت ولا تخوض في مسائل هذا الباب أولى بك؛ لأنه إن لم يكن عند المتكلم في هذا الباب دراية بهذه القواعد والأصول فإنه عرضة للزلل، وإذا وقع في الزلل فالأمر جِدّ خطير، فالخطأ في أسماء الله –تبارك وتعالى– وصفاته ليس كالخطأ في أي أمرٍ آخر.

وقوله هنا أي في هذا الباب باب الأسماء والصفات: فيجب على من اشتغل بهذا العلم علم الأسماء والصفات أن يكون على علم بهذه الأمور التي تأتي تباعًا عند المصنف –رحمه الله– قال: أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عن الله عنه –تعالى– أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته. باب الإخبار عن الله أي: ما يخبر عن الله –تبارك وتعالى– به من المعاني الصحيحة والكلمات الطيبة وما ليس مشتملًا على سيئ.

فهذا الباب –باب الإخبار– أوسع من باب الأسماء والصفات؛ لأن باب الأسماء والصفات توقيفي، فلا يسمى الله –جل وعلا– ولا يوصف إلا بما سمى به نفسه وبما وصف به نفسه، وبما سماه به رسوله ﷺ ووصفه به صلوات الله وسلامه عليه، كما قال الإمام أحمد رحمه الله، ونَصِف الله بما وصف

.....

—

به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث، فباب الأسماء والصفات توقيفي، يعني: يتوقف في ألفاظه، على ما جاء في الشرع، فلا يسمى الله ولا يوصف إلا بما جاء في الكتاب والسنة، أما باب الإخبار عنه –سبحانه وتعالى– فلا يجب أن يكون توقيفيًّا، بل الألفاظ الحسنة والمعاني الصحيحة، وما ليس بمشتمل على معنى سيئ لا يليق بالله لا بأس بالإخبار عنه –تبارك وتعالى– به، ولا يعد من أسمائه ولا يعد كذلك من صفاته، وإنما يخبر عنه –تبارك وتعالى– به.

وقوله: واسع أو "أوسع من باب الأسماء والصفات" المراد بذلك أن طرق معرفته ووسائل معرفته أوسع من باب الأسماء والصفات، ولا يعني هذا أن يخوض كل واحد في هذا الباب بما شاء وأن يقول فيه ما شاء، وإنما يجب أن يكون الكلام في هذا الباب باب الإخبار عن الله –سبحانه وتعالى– مبنيًّا على دلالات النصوص ولوازمها، لا أن يكون مبنيًّا على الأهواء والظنون والتخرصات والقول على الله –تبارك وتعالى– بلا علم كما هو الشأن عند أهل البدع والأهواء. فقوله: "أوسع" أي: أوسع في طرق معرفته من باب الأسماء والصفات.

قد عرفنا أن الأسماء لمعرفتها طريق واحد والصفات لمعرفتها طرق أربع أشرنا إليها في درس الأمس، وباب الإخبار أوسع من ذلك؛ لأنه باب مستفاد من اللوازم، لوازمِ كلام الله، وكلام رسوله ﷺ وكما قال العلماء: لازم كلام الله وكلام رسوله ﷺ حق إن صح أنه لازم، وتنبهوا لهذا القيد العظيم "إن صح أنه لازم" وهذا فيه إغلاق الباب على الخائضين في هذا الباب بلا علم، والقائلين فيه بلا علم وبلا مستند وبلا دليل، فلازم كلام الله وكلام رسوله –صلى الله عليه وسلم حق– إن صح أنه لازم، ومعنى: "إن صح" أي: إن دلت عليه النصوص دلالة صحيحة بدلالة الالتزام، وسيأتي عندنا أن أنواع الدلالة ثلاثة: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام وسيأتي في حينه بيان ذلك وتوضيحه. نعم.

الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه تعالى

قال رحمه الله تعالى: الثاني أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكملها فعلًا وخبرًا.

ثم ذكر هذه القاعدة وهي قاعدة مفيدة جدًّا في باب الصفات وكذلك دلالات الأسماء على الصفات، فقال رحمه الله: إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، هذه الأسماء)المريد والفاعل والصانع(دالة على صفات، فالمريد دالّ على صفة الإرادة، والفاعل دال على صفة الفعل، والصانع دال على صفة الصنع، والأفعال التي دلت عليها هذه الأسماء أفعال منقسمة إلى كمال ونقص، فالإرادة قد تكون إرادة خير أو إرادة شر، والفعل قد يكون فعل خير أو فعل شر.

فالصفات التي دلت عليها هذه الأسماء صفات منقسمة، وما كان من هذا القبيل، أي ما كان دالا على صفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، أي: في أسماء الرب –جل وعلا– لماذا؟ لأن أسماء الله –تبارك وتعالى– كلها حسنى كما قال جل وعلا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [1] **كما قال جل وعلا:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [2] .

- ١سورة الأعراف آية : ١٨٠.

- ٢سورة طه آية : ٨.

فأسماء الله كلها حسنى، والحسن فيها هو بكونها دالة على صفات، والصفات صفات كمال، فلو لم تكن دالة على صفاتٍ لم تكن حسنى، ولو لم تكن الصفات التي دلت عليها أسماؤه صفات كمالٍ لم

.....

تكن حسنى، فهي حسنى لدلالتها على صفات الكمال، وعليه فإن الاسم الذي يدل على صفةٍ منقسمة، أي: ليست صفة كمال، وإنما صفة منقسمة، فما كان من هذا القبيل لا يدخل في أسمائه تبارك وتعالى، لا يدخل في أسمائه، ولهذا)المريد والصانع والفاعل(ونحو ذلك، هذه ليست من أسماء الله الحسنى، ولا يصح أن تجعل من أسماء الله الحسنى؛ لأن أسماء الله الحسنى كلها دالة على صفات كمال لله –جل وعلا– ليست دالة على صفات منقسمة إلى كمال ونقص.

ثم أمر آخر هنا، وهو ما كان من هذا القبيل الصفة المنقسمة، كيف يصنع بها، قال –رحمه الله– لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها، ومثل قال: كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، إذًا هي غير داخلة في أسمائه، والصفات التي دلت عليها لا تدخل بمطلقها في صفاته، ولا أيضًا تنفى عنه، وإنما ما الذي يفعل؟ يثبت منها كمالها لله –تبارك وتعالى– وينزه ﷻ عن النقص الذي تدل عليه، فلا تُثبَت بالإطلاق ولا تُنفَى بالإطلاق، وإنما يُثبَت له –تبارك وتعالى– منها كمالها، يثبت له منها –تبارك وتعالى– كمالها، قال: ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق بل هو الفعال لما يريد؛ فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا.

وهذه القاعدة تدلنا إلى أن الأسماء في دلالاتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأسماء التي تدل على صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهذه ما هي؟ أسماء الله الحسنى، أسماء الله الحسنى، هذا شأنها كلها، أسماء الله الحسنى أسماء دالة على صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

القسم الثاني: أسماء وصفات تدل على النقص، كالسِنَة والنوم واللغوب والظلم، ونحو ذلك، فهذه الله –جل وعلا– منزه عنها وله –تبارك وتعالى– كمال ضدها.

والقسم الثالث: ما قرره ابن القيم -رحمه الله- في هذه القاعدة وهو الأسماء التي تدل على صفات منقسمة، وبين -رحمه الله- ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في هذا النوع. نعم .

لا يلزم من الإخبار عنه –سبحانه وتعالى– بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق

قال –رحمه الله تعالى–: الثالث: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر، تعالى الله عن قوله، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه –سبحانه– منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم.

—

ثم ذكر –رحمه الله– هذه القاعدة الثالثة، أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق، في القرآن الكريم آيات عديدة، وكذا أيضًا في السنة إخبار عن الله –سبحانه وتعالى– بوصف مقيد بوصف مقيد، كقوله: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ ﴾ [1] **وقوله:** ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ ﴾ [2] **وقوله:** ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [3] **وقوله:** ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ ﴾ [4] **وقوله:** ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ ﴾ [5] ﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ ﴾ [6] **وما كان من هذا القبيل.**

.....

—

- ١سورة العنكبوت آية : ٣.
- ٢سورة إبراهيم آية : ٢٧.
- ٣سورة البقرة آية : ١٥.
- ٤سورة الأنفال آية : ٣٠.
- ٥سورة الطارق آية : ١٥.
- ٦سورة الطارق آية : ١٦.

....

فهذه الآيات اشتملت على أوصاف مقيدة، ليست أوصافًا مطلقة، وإنما مقيدة: ﴿ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [1] ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [2] ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [3] أي: بهم ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [4] ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [5] كلها جاءت مقيدة، لم تأتِ أوصافًا مطلقة، ولأهل السنة والجماعة –رحمهم الله– قاعدة عظيمة جدا في هذا الباب قررها السلف قديمًا، وهي قولهم: أمروها كما جاءت بلا كيف، أمروها كما جاءت، وهذه قاعدة مفيدة جدا ونافعة للغاية.

وإعمال هذه القاعدة هنا في الصفات المقيدة كيف يكون، كيف يكون إمرار العبد لها كما جاءت؟ وقد علمنا أنها جاءت مقيدة، فهل من أخذ من هذا الوصف المقيد وصفًا مطلقًا يكون قد أمرها كما جاءت، وكذلك من اشتق لله منها اسما مطلقا هل يكون أمرها كما جاءت؟ لا، فإمرارها كما جاءت، أي: على الصفة التي جاءت، جاءت مقيدة فنمرها كما جاءت نثبتها مقيدة، نثبتها مقيدة كما جاءت، فهي هكذا جاءت، جاءت مقيدة، فنثبتها كما جاءت مقيدة، فلا نثبت لله منها وصفا مطلقا، ولا نشتق لله –تبارك وتعالى– منها اسما، فمن فعل ذلك فإنه لا يكون قد أمرَّها كما جاءت، فما كان من هذا القبيل يُثبَت لله –سبحانه وتعالى– مقيدًا كما ورد، فنقول: يضل الله الظالمين، نقول: يستهزئ بالكافرين، يمكر بالماكرين، يخادع المخادعين: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [6] وهكذا، نثبتها نثبتها مقيدة كما جاءت، وهذا هو إمرارها كما جاءت.

- 1سورة العنكبوت آية : ٣.
- 2سورة إبراهيم آية : ٢٧.
- 3سورة الأنفال آية : ٣٠.
- 4سورة النساء آية : ١٤٢.
- 5سورة البقرة آية : ١٥.
- 6سورة النساء آية : ١٤٢.

قال: لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يُشتَق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين، فجعل من أسمائه الحسنى المضل، الفاتن، الماكر، تعالى الله عن قوله، المضل اشتق هؤلاء هذا الاسم لله -سبحانه وتعالى- من قوله: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] والفاتن من قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [2] والماكر من قوله: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [3] وأيضًا مثل اشتقاقهم المستهزئ والساخر والكائد، كل هذا خطأ تعالى الله عن ذلك، أن يشتق لله من الوصف المقيد اسم مطلق، هذا من القول على الله بلا علم، والخوض في أسمائه وصفاته بالباطل.

ولعل هذا ينبهنا على أهمية هذه القواعد، وأن من مضى في هذا الباب بدون القواعد التي يُبنَى عليها الكلام في هذا الباب يزل زللًا عظيمًا ويقع في أخطاء فاحشة. قال: فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر، تعالى الله عن قوله، أي تنزه الله -تبارك وتعالى- عن ذلك؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، لم يطلق عليه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، مثل ما أوضحنا في الآيات، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، كما وقع هؤلاء في هذا الخطأ الفادح، فقالوا: من أسمائه المضل، ومن أسمائه الفاتن، ومن أسمائه الماكر، تعالى الله عما يقولون علوًّا عظيمًا. نعم .

- ١سورة إبراهيم آية : ٢٧.

- ٢سورة العنكبوت آية : ٣.

- ٣سورة الأنفال آية : ٣٠.

أسماؤه الحسنى هي أعلام وأوصاف والوصف بها لا ينافي العَلَمِيّة

الرابع: أن أسماءه الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العَلَمِيّة، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

—

ثم ذكر هذه القاعدة في أسماء الله وأن أسماءه الحسنى –سبحانه وتعالى– أعلام وأوصاف. وقبل الخوض في بيان هذه القاعدة أذكر بما أشرت إليه قبل قليل وهو أن معنى كون أسماء الله – تبارك وتعالى– حسنى، أي: أنها دالة على صفات كمال، فلو لم تكن دالة على صفات لم تكن حسنى، ولو كانت دالة على صفات ليست بصفات كمال لم تكن حسنى، فهي حسنى لدلالتها على صفات الكمال ونعوت الجلال، وهذه قاعدة في كل أسماء الله، جميع أسماء الله حسنى، كلها دالة على صفات كمال لله سبحانه وتعالى، لا يوجد اسم من أسماء الله –تبارك وتعالى– جامد لا يدل على معنى، بل كلها مشتقة، والمراد بالاشتقاق هنا أي دالة على معان، ودالة على صفات كمال لله ﷻ تليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه.

وهنا يقول ابن القيم: أسماؤه الحسنى هي أعلام وأوصاف، أي أن لها نوعين من الدلالة: دلالة على الذات، ودلالة على المعاني. السميع، البصير، العليم، الحكيم، الخبير، إلى آخر أسمائه – سبحانه وتعالى– هذه الأسماء أعلام، وفي الوقت نفسه أوصاف، أعلام أي باعتبار دلالاتها على الذات، دلالتها على الله سبحانه وتعالى، فالسميع هو الله، والبصير هو الله، والحكيم هو الله، والعزيز هو الله، فهي أعلام دالة على ذاته سبحانه وتعالى، وعندما يقال: عبد الله، عبد الرحمن، عبد الحكيم، إلى آخره، فهذه أسماء دالة على ذاته –جل وعلا– دالة على ذاته، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار دلالة كل اسم منها على وصف لله –جل وعلا– يليق به، بل بعضها يدل على أكثر من وصف كما مر معنا في قاعدة سابقة، فأسماء الله أعلام وأوصاف، أعلام باعتبار الدلالة على الذات، وأوصاف باعتبار الدلالة على المعاني والصفات.

قال: والوصف بها لا ينافي العلمية، الوصف بها أي بهذه الأسماء لا ينافي كونها أعلامًا دالة على ذات الله سبحانه وتعالى، فمثلًا السميع نأخذ منه صفة السمع، والبصير البصر، والعليم العلم،

.....

والرحيم الرحمة، فدلالة هذه الأسماء على هذه الصفات لا ينافي كونها أعلامًا دالة على الله سبحانه وتعالى، والوصف بها لا ينافي العَلَمِيَّة، والوصف الذي دلت عليه هو وصف مختص بالله لا شريك ولا مثيل له فيه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [1] فصفاته مختصة به –جل وعلا– فالوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي عَلَمِيَتهم، أوصاف العباد تنافي علميتهم، لِمَ؟ قال: لأن أوصافهم مشتركة، لو أردت أن تجعل وصفًا من أوصاف العباد علمًا على أحدهم، فمثلًا من أوصاف العباد السمع، أيمكنك أن تجعل هذا علمًا على أحدهم أو البصر، أو الرحمة مثلًا، أو غير ذلك من الأوصاف التي تكون في العباد أو مثلًا الصلاح الاستقامة الهداية الرشاد.

أيمكن أن يجعل شيء من ذلك علما على واحد منهم بعينه دون الآخرين، لا يمكن لأنها أوصافٌ مشتركة، فمنها أوصاف مشتركة في الجميع، ومنها أوصاف مختصة بأهل الإيمان، مثل: الصلاح والاستقامة والهداية ونحو ذلك، فهي أوصاف مشتركة، فلا تصلح أن تكون أعلامًا، أما أسماء الله فدلالتها على صفاته دلالة اختصاص؛ لأن ما يضاف إلى الله –سبحانه وتعالى– يخصه ويليق به، ولا مثيل له في أسمائه تبارك وتعالى، ولا مثيل له –سبحانه وتعالى– في صفاته. قال: لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى، أوصافه مختصة به، سمعه، بصره، علمه، إرادته، حكمته، رحمته، كل أوصافه سبحانه وتعالى مختصة به، لا مثيل له في صفاته، ولا مثيل له –سبحانه وتعالى– في أسمائه. نعم.

---

[1] - ١سورة الشورى آية : ١١.

الاسم من أسمائه –تعالى– له دلالة على الذات والصفة بالمطابقة

الخامس: أن الاسم من أسمائه له دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

—

وهذه قاعدة تتعلق بدلالات الأسماء الحسنى، ومن المعروف أن أنواع الدلالات ثلاثة: مطابقة، وتضمن، والتزام، ودلالة المطابقة هي: دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن هي: دلالة اللفظ على بعض معناه، ودلالة الالتزام هي: دلالة اللفظ على أمر خارج معناه، فهذه أنواع الدلالات الثلاثة، فهل دلالات الأسماء الحسنى مقصورة على دلالة المطابقة، أم أنها شاملة لأنواع الدلالات الثلاثة المطابقة والتضمن والالتزام؟ فهذه قاعدة نبه فيها المصنف –رحمه الله– إلى أن دلالات الأسماء الحسنى متناولة لأنواع الدلالة الثلاثة: المطابقة، والتضمن، والالتزام.

فمثلًا، من أسماء الله –سبحانه وتعالى– الحيّ، إن أخذت من هذا الاسم نوعي الدلالة: الدلالة على الذات، والدلالة على الصفة؛ قد عرفنا في القاعدة السابقة أن للأسماء الحسنى –أن للأسماء الحسنى ماذا؟– دلالتين: دلالة على الذات، ودلالة على الصفات؛ فهي باعتبار الدلالة على الذات أعلام، وباعتبار الدلالة على الصفات أو المعاني أوصاف، فإذا أخذت من الاسم الدلالتين: الدلالة على الذات، وعلى الصفة، فمثلًا أخذت من الحيّ الدلالة على ذاته، يعني: دلالة هذا الاسم على ذاته، وأخذت منه دلالته على صفة الحياة، فهذه الدلالة ما نوعها، مطابقة؛ لأنك أخذت من اللفظ دلالته على كامل معناه، فهذه الدلالة مطابقة.

وإذا أخذت من هذا الاسم أحد هذين الأمرين فأثبتّ منه الحياة فالدلالة هنا دلالة تضمن يدل على صفة الحياة تضمنًا، ويدل على الحياة والذات مطابقة، ويدل على الذات وحدها، أو على الحياة وحدها تضمنًا، ثم إن أثبتّ من هذا الاسم صفات أخرى يدل عليها الاسم لزومًا كالسمع والبصر والإرادة ونحو ذلك فما نوع الدلالة هنا؟ دلالة التزام لأن هذا أمر خارج معنى اللفظ، فدلالة اللفظ عليه دلالة التزام، فأسماء الله الحسنى تشمل دلالاتُها أنواع الدلالة الثلاثة: المطابقة والتضمن والالتزام .

أسماؤه الحسنى لها اعتباران

السادس: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات؛ فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

—

وهذه القاعدة السادسة ترجع إلى القاعدة الرابعة، التي قال فيها المصنف –رحمه الله–: أسماء الله أعلام وأوصاف، فيقول هنا: أسماء الله الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فمن حيث اعتبار الذات أعلام، هي أعلامٌ، ومن حيث اعتبار الصفات هي أوصاف، فلها اعتباران: اعتبار العلمية، واعتبار الوصفية، للأسماء الحسنى اعتباران: اعتبار من حيث الذات، يعني: من حيث دلالة الاسم على الذات، واعتبار من حيث الصفات، أي من حيث اعتبار دلالة الاسم على الصفات، فلها اعتباران، ماذا يترتب على ذلك؟ قال: فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة، بالاعتبار الأول، أي: دلالتها على الذات، مترادفة، وبالاعتبار الثاني، أي: دلالاتها على الصفات، متباينة. وعليه لو قيل لك: أسماء الله الحسنى مترادفة أو متباينة؟ إن قلت مترادفة أخطأت، وإن قلت متباينة أخطأت، ولا يستقيم لك جواب إلا بمعرفة هذه القاعدة، فتقول: أسماء الله باعتبار دلالتها على الذات مترادفة، وباعتبار دلالتها على الصفات متباينة.

أعيد السؤال بصيغة أخرى، لو قال لك قائل: السميع هو البصير، أو ليس هو؟ لا بد أن تفصل، تقول له: إن كنت تريد دلالة الاسمين على ذات الله فالسميع هو البصير، هو الله جل وعلا، وإن كنت تريد السميع والبصير باعتبار ما دل عليه السميع من صفة وما دل عليه البصير من صفة فهو غيره، هذا يدل على صفة السمع وهذا يدل على صفة البصر. وأهل البدع في هذا الباب يلبِّسون على من لا علم عنده ولا فهم، فمثلًا في باب أقسام التوحيد الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، يقولون لمن لا يفهم: أليس الرب هو الإله، فلماذا تقسمون؟ هذا المراد، لماذا تقسمون، تقولون: ربوبية وألوهية، أليس الرب هو الإله؟

الجواب في هذا القول: الرب هو الإله باعتبار أن الرب والإله دالان على ذات واحدة، الله –سبحانه وتعالى– فالرب هو الإله بهذا الاعتبار، لكن هل الرب هو الإله باعتبار المعنى الذي دل عليه هذان اللفظان؟ الرب دل على الربوبية، والإله دل على الألوهية، وهذه التفرقة في الفهم كان يدركها

المشركون، المشركون يقرون بالربوبية وأنها الرب الذي لا شريك له في ربوبيته، ولكنهم يشركون في الألوهية، ولما قال لهم عليه الصلاة والسلام: ﴿ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ﴾ لم يفهموا من هذه الكلمة لا خالق إلا الله، ولو كان هذا الذي تعنيه هذه الكلمة، لما ترددوا في قبولها، لكنهم فهموا أنها تنفي الشرك في العبادة، فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [1] ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ ﴾ [2] **تواصٍ بالصبر على هذه الآلهة، بل يتمادحون بينهم على هذا الصبر الذي حصل منهم على هذه الآلهة، قالوا:** ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ ﴾ [3] **أي: لولا أنا كنا متحلين بالصبر وإلا كنا نتورط معه في هذه العقيدة لكنا كنا متحلين بالصبر ويتفاخرون بهذا الصبر** ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ ﴾ [4] .

فالشاهد أن أهل الضلال والعياذ بالله –خاصة عباد القبور والمبتلين بهذا الشرك– فرارًا من الإلزام بما يدل عليه توحيد الألوهية، وما تقتضيه لا إله إلا الله يشككون الناس، ويشككون من لا علم عنده ولا فهم بمثل ذلك، ولهذا قالوا مثل هذا الكلام قديمًا وحديثًا، قالوا: أليس الرب هو

- ١سورة ص آية : ٥.
- ٢سورة ص آية : ٦.
- ٣سورة الفرقان آية : ٤٢.
- ٤سورة الفرقان آية : ٤٢.

الإله؟ الرب هو الإله يقولون، الرب هو الإله، بل بعضهم وهذا قاله قديمًا الجهم بن صفوان، قال: لو أثبت لله تسعة وتسعين اسمًا لأثبت تسعةً وتسعين إلهًا، هذا من الضلال والعياذ بالله وسوء الفهم.

.....

ونفس الشبهة وقعت عند عباد القبور، في قولهم: الرب هو الإله والإله هو الرب فرارًا من إثبات توحيد الألوهية، فوقعوا في الشبهة نفسها. والمعتزلة أيضًا قديمًا قالوا: يلزم من تعدد الصفات تعدد القدماء، أي: الآلهة، فنفوا الصفات، فأثبتوا أعلامًا محضة، وهؤلاء على جادتهم الرب هو الإله يريدون إثبات الربوبية ولا يثبتون الألوهية، وقد قال ابن عباس: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وانظر كمال الفقه في فهم أسماء الله، قال: الله ذو الألوهية والعبودية، فأثبت من هذا الاسم أمرين: الأمر الأول وصف الله وهو الألوهية التي هي صفات الجمال والجلال التي استحق بها أن يؤله ويُقصَد وحده –تبارك وتعالى– بالعبادة دون سواه، وأثبت الأمر الآخر وهو فعل العبد العبودية وهو تذلّله وخضوعه لله، فهذا هو فقه الصحابة رضي الله عنهم، وهو فقه من اتبعهم بإحسان، أما أهل الأهواء والبدع، فليس عندهم إلا الزيغ والعياذ بالله، واتباع المتشابه والخوض في الله وأسمائه وصفاته بلا علم.

فإذًا هذه القاعدة قاعدة مفيدة جدًّا في هذا الباب، معرفة الاعتبارات في أسماء الله الحسنى، وأن لها اعتبارين: اعتبارا من حيث الذات، واعتبارا من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة. نعم .

التوقيفي وغير التوقيفي من الأسماء والصفات

السابع: أن ما يطلق في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه في باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيا، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟

—

في القاعدة الأولى أشار ابن القيم –رحمه الله– أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود، ومضى الكلام على هذا الباب أو على هذه القاعدة، هنا قال في القاعدة السابعة: إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، ومعنى توقيفي أي: يتوقف في إثباته على الدليل، قال الله، قال رسوله ﷺ هذا معنى توقيفي، أي: يتوقف على إثباته على الدليل قال الله، قال رسوله ﷺ فأسماء الله وصفاته توقيفية، أي: لا يثبت شيء منها إلا بالدليل.

ومر معنا قريبًا قول الإمام أحمد رحمه الله: نَصِفُ الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث، قوله: "لا نتجاوز القرآن والحديث" هذا هو التوقيف، يعني: نتوقف على دلالة القرآن والحديث.

والأوزاعي –رحمه الله– يقول: ندور مع السنة حيث دارت، أي نفيًا وإثباتًا، فما أثبت فيهما أثبتناه، وما نفي فيهما نفيناه، ولا نتجاوز القرآن والحديث، وهذه جادة أهل السنة، يتوقفون في الأسماء والصفات على ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

قال: وما يطلق عليه في باب الإخبار، وقد عرفنا سابقًا أن باب الإخبار أوسع، ويعرف من دلالة الالتزام، وقد عرفنا أيضًا أن لازم كلام الله وكلام رسوله ﷺ حق إن صح أنه لازم، فباب الإخبار عن الله –تبارك وتعالى– أوسع لا يجب أن يكون توقيفيا، لا يجب أن يكون اللفظ واردا في التوقيف، أي: في الدليل في الكتاب والسنة، بل يخبر عن الله –سبحانه وتعالى– بالمعاني الصحيحة والألفاظ

الطيبة وما ليس مشتملًا على معنى سيئ يخبر عنه به إذا دلت عليه أسماؤه الحسنى وصفاته العلى دلالة صحيحة، فإنه يخبر عن الله –تبارك وتعالى– به.

....

فهذا النوع لا يجب أن يكون توقيفيا، فمنه ما يعرف بالتوقيف ومنه ما يعرف بدلالة الالتزام، ومثَّلَ قال: كالقديم والشيء، والموجود، والقائم بنفسه، يمكن أن يستدل الشيء بقوله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ﴾ [1] لكن الشيء ليس صفة وإنما يخبر عن الله بأنه شيء ويخبر عنه بأنه شخص، كما جاء في الحديث: ﴿ لا شخص أغير من الله ﴾ ويخبر عنه بأنه قديم، لكن القديم ليس من أسمائه؛ لأن في القدم قدم نسبي وقدم مطلق، واسم الله تبارك وتعالى الأول، هو الاسم الدال على الكمال له جل وعلا، فهو أول –كما جاء في الحديث– ليس قبله شيء، وآخر ليس بعده شيء، فما كان من هذا القبيل باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود.

و"الموجود" هذه اللفظة لم ترد بلفظها في القرآن ولا في السنة لكن يخبر عن الله –تبارك وتعالى– بأنه موجود، فهي داخلة في باب الإخبار عن الله سبحانه وتعالى، ولا يقال من أسمائه الموجود، لا يقال: من أسماء الله الحسنى الموجود، بل يخبر عنه –تبارك وتعالى– بذلك، والقائم بنفسه، وهذا أيضًا يخبر عن الله –تبارك وتعالى– به، القائم بنفسه.

فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه: هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟ لو طرح هذا السؤال على ضوء القاعدة التي هي فصل الخطاب في هذا الباب ماذا يكون جوابه، هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟ نقول ماذا، نقول لا، في باب الأسماء الحسنى التي يُدعَى بها ويُعبَّد لله –تبارك وتعالى– بها هذه توقيفية ولا يدخل في أسمائه –سبحانه وتعالى– إلا ما دل عليه التوقيف، وأما الأسماء التي تدل على معانٍ صحيحة، ودلالات صحيحة ولا تدل على معانٍ سيئة لا تليق بالله –سبحانه وتعالى– فهذه يخبر عن الله بها من باب الإخبار لا أنها داخلة في أسمائه –تبارك وتعالى– الحسنى، فكما يقول ابن القيم –رحمه الله–:

- [1] سورة الأنعام آية : ١٩.

هذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه. ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

.....

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد، فنواصل القراءة في هذه القواعد العظيمة والفوائد الجليلة المتعلقة بأسماء الله وصفاته للإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله.

اشتقاق المصدر والفعل من الأسماء الحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم. قال المؤلف رحمه الله تعالى: الثامن: أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبَر عنه فعلًا ومصدرًا نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: قَدْ﴿ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [1] ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] هذا إن كان الفعل متعديًا، فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال: حَيِيَ.

هذه القاعدة الثامنة من القواعد التي أوردها ابن القيم –رحمه الله– هنا، وهي تتعلق بدلالة الاسم على الصفة، وأن الصفة التي يدل عليها الاسم على نوعين: صفة متعدية، وصفة لازمة. وبيَّن ابن القيم –رحمه الله– في هذه القاعدة أن الاسم إذا دل على صفة متعدية فللإيمان به أركان ثلاثة: وهي الإيمان بالاسم، والإيمان بالصفة، والإيمان بالحكم. وأما إذا كان الاسم دالا على صفة لازمة فللإيمان به ركنان: وهما، الإيمان بالاسم، والإيمان بالصفة التي دل عليها الاسم.

مرة ثانية، الأسماء فيما تدل عليه من صفات على نوعين: أسماء تدل على أوصاف متعدية، أي: أنها مشتملة على فعل متعدٍ ويسمى أيضًا في اللغة الفعل المجاوز، وأسماء دالة على فعل غير متعدٍ، أي: لازم، فالنوع الأول للإيمان به أركان ثلاثة: وهي الإيمان بالاسم، والإيمان بالصفة، والإيمان بالفعل أو بالحكم، والنوع الثاني للإيمان به ركنان وهما: الإيمان بالاسم والصفة.

يقول رحمه الله: إن الاسم إذا أطلق عليه –على الله جل وعلا– جاز أن يُشتَق منه المصدر والفعل، على سبيل المثال، السميع البصير القدير، هذه أمثلة ثلاثة لأسماء حسنى لله –تبارك وتعالى– أوردها

- ١سورة المجادلة آية : ١.

- ٢سورة المرسلات آية : ٢٣.

ابن القيم وكلها دالة على أوصاف متعدية وأفعال مجاوزة، فيقول ابن قيم: ما كان من هذا

.....

النوع يشتق منه المصدر والفعل، فالسميع يؤخذ منه المصدر، والسمع صفة لله سبحانه وتعالى، ويؤخذ منه الفعل، يثبت من هذا الاسم الفعل فيقال يسمع: ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾ [1] فيثبت المصدر الذي هو الصفة، ويثبت الفعل سمع يسمع، كذلك البصير يثبت المصدر الذي هو الصفة، فيقال: دل اسمه تعالى البصير على ثبوت البصر صفة لله، البصر مصدر، ويثبت أيضًا الفعل أبصر يبصر، من هذا الاسم، والقدير أيضًا يثبت منه المصدر وهو القدرة، ثبوت القدرة صفة لله.

وكذلك الفعل كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] قدرنا من القدرة، العليم المصدر العلم، الفعل يعلم وعلم، الرزاق، الصفة الرزق أو المصدر وهو الصفة الرزق، والفعل يرزق: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [3] وهكذا قل في كل اسم دل على فعل مجاوز، أو على فعل متعدٍ تثبت منه لله –سبحانه وتعالى– ثلاثة أشياء: الأول: الاسم، تثبته لله، والثاني: الصفة، والثالث الفعل، قال: يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، وهذه كلها مصادر ويخبر عنه بالأفعال، يسمع ويبصر ويقدر، سمع وأبصر وقدر نحو ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [4] ونحو: ﴿ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [5] قال: هذا إن كان الفعل متعديًا، أي إذا كان الفعل الذي دل عليه هذا الاسم متعديًا فيثبت هذه الأشياء الثلاثة، ما هي؟ الاسم والمصدر والفعل.

- ١سورة المجادلة آية : ١.

- ٢سورة المرسلات آية : ٢٣.

- ٣سورة البقرة آية : ٢١٢.

- ٤سورة المجادلة آية : ١.

- ٥سورة المرسلات آية : ٢٣.

....

ثم انتقل إلى النوع الثاني، قال: فإن كان لازمًا، يعني: إن كانت الصفة التي دل عليها الاسم صفة لازمة غير متعدية، فما الذي نثبته، ما الذي نثبته هنا؟ ذكر شيئين: الاسم والصفة، قال: فإن كان لازمًا لم يخبر به عنه، نحو الحي، هذا اسم من أسماء الله الحسنى دال على صفة غير متعدية، دال على صفة لازمة غير متعدية، فما الذي نثبت هنا؟

قال: يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، يطلق عليه الاسم والمصدر، الاسم: الحي، والمصدر: الحياة، نثبت الحياة صفة لله، من هذا الاسم دون الفعل، فلا يقال: حَيِيَ، هذا باطل؛ لأن الصفة هنا صفة لازمة فيثبت منها أمران، أما إذا كانت صفة متعدية فيثبت ثلاثة أمور، ومثل الحي الأول، والظاهر، وكذلك أيضًا العظيم، ومثل هذه الأسماء يثبت لله –تبارك وتعالى– منها أمران: الاسم والصفة، دون الفعل، الفعل يثبت متى؟ إذا كان الوصف الذي دل عليه الاسم وصفًا متعديًا، مثَّل بالحي، المحيي. المحيي من أي النوعين، الأول ولَّا الثاني. الأول، المحيي الصفة هي الإحياء، والفعل أحيا يحيي.

أفعال الرب –تبارك وتعالى– صادرة عن أسمائه وصفاته

قال رحمه الله تعالى: التاسع: أن أفعال الرب –تبارك وتعالى– صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم فالرب –تبارك وتعالى– فعاله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل، فالرب لم يزل كاملًا فحصلت أفعاله عن كماله لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كَمُل ففعلَ، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به.

—

وهذه قاعدة عظيمة ومفيدة في باب الأسماء والصفات وهي تتعلق ببيان كمال الرب –جل وعلا– وعظمته –سبحانه وتعالى– وأنه لم يزل ولا يزال –تبارك وتعالى– كاملًا بأسمائه وصفاته، وتنزه وتقدس وتعالى أن يقال فيه سبحانه: إنه فَعَلَ فَكَمُلَ، بالأفعال التي فعلها، واستحق الأسماء على تلك الأفعال التي فعلها فَكَمُلُ بها، تعالى الله عن ذلك، هذا في حق المخلوق عندما يفعل أفعالًا، ويديم المواظبة عليها يكمل بفعلها فيستحق ألقابًا على ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام: 🕮 ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا 🕮 فهذا اللقب صديق لا يأتيه إلا بفعل مسبق، ومجاهدة وأعمال ومواظبة، ثم يستحق هذا اللقب، فهو فعل فكمل، يستحق ألقاب الكمال اللائقة بالإنسان بأفعاله التي يكمل بها، يتحرى الأخلاق الفاضلة والآداب النبيلة فيستحق اللقب، الفاضل، ذو خلق، ذو أدب، صادق، أمين، وفيٌّ، إلى غير ذلك من الألقاب هذه يستحقها بناء على أفعاله، ومجاهدته لنفسه ومواظبته على أعمال الخير، حتى يكون مستحقا للألقاب الحسنة، بأفعاله فهو فعل فكمل.

أما الرب –سبحانه وتعالى– لم يزل كاملًا، لم يزل متصفًا بصفات الكمال والعظمة والجلال – سبحانه وتعالى– لم يكن ناقصًا فكمل، تعالى الله –سبحانه وتعالى– عن ذلك. فهذه قاعدة مهمة مفيدة في هذا الباب نبه عليها ابن القيم –رحمه الله– تتعلق ببيان الكمال الذي دلت عليه أسماء الله –تبارك وتعالى– الحسنى.

....

ـــ

قال: أفعال الرب –تبارك وتعالى– صادرة عن أسمائه وصفاته، من أسمائه الرزاق، وصفاته الرزق، ومن أفعاله الصادرة عن هذا الاسم وهذه الصفة يرزق من يشاء، فالفعل صادر عن أسمائه وصفاته، من أسمائه المحسن، وصفاته الإحسان، ويصدر عن ذلك يحسن –تبارك وتعالى– لمن يشاء ﷻ فأفعاله صادرة عن أسمائه وصفاته، أما أسماء المخلوقين فإنها صادرة عن أفعالهم، ما معنى صادرة عن أفعالهم؟ أي: استحقوا تلك الأسماء بالأفعال الحميدة التي قاموا بها، ففعل العبد الأعمال الحميدة والأمور الطيبة إلى أن حاز تلك الأسماء التي لم يحز عليها إلا بتلك الأفعال، وبتلك المجاهدة، وبصبر النفس.

قال: فالرب –تبارك وتعالى– فعاله عن كماله، قوله هنا فعاله عن كماله هو كما سبق فعاله صادرة عن أسمائه وصفاته، أسماء الكمال وصفات الكمال، فالفعال صادر عن هذا الكمال، كمال الرب –سبحانه وتعالى– في أسمائه وصفاته، وأما المخلوق كماله عن فعاله، كمال المخلوق ناتج عن فعال المخلوق، فإذا فعل المخلوق الشيء الطيب والفعل الحميد كمل به، وإذا فعل الخصال السيئة وسفساف الأمور، ماذا؟ نقص بها واستحق الألقاب التي تليق بفعاله.

قال: والمخلوق كماله عن فعاله فاشتقت له الأسماء بعد أن كمُل بالفعل، من هو؟ المخلوق، اشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل، متى استحق المخلوق الصديق، قال: ﴿ لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ﴾ فهذا الكمال "صديقًا" متى حازه، قال –رحمه الله–: فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل، يعني بعد أن كمل بتحقيق الوصف والإتيان به على التمام استحق الاسم كتب عند الله صديقًا، قال: فالرب لم يزل كاملًا فحصلت أفعاله عن كماله، كما سبق إيضاح ذلك؛ لأنه كاملٌ بذاته وصفاته فأفعاله –سبحانه– صادرة عن كماله، كمل ففعل، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به، واضح الفرق بين الأمرين. نعم .

إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها

العاشر: إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالى، أو أمرًا إما علم بما كونه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحسنى، وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة؛ إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سُدىً ولا عبثًا.

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم به أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته، وأما الرب -تعالى- فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض.

ثم ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- هذه القاعدة وهي تفيد فائدة عظيمة في باب أهمية دراسة توحيد الأسماء والصفات وشدة الحاجة إلى هذا العلم وأنه أرفع العلوم وأعلاها شأنًا وأكبرها نفعًا، وأنه ليس في العلوم علم أنفع منه وأفود للعبد منه، وكل ذلك يتبين بهذه القاعدة العظيمة التي قررها

....

ابن القيم –رحمه الله– هنا، قال: "إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم" هذه قاعدة وسيبين ما يدل عليها في ثنايا كلامه الآتي –رحمه الله–. وقوله إحصاء الأسماء هذا أمر عظيم جدا ويحتاج إلى فقه؛ ولهذا أفرده ابن القيم –رحمه الله– بقاعدة مستقلة تأتي عنده قريبًا، وفي الحديث: يقول ﷺ إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة .

فهذا الإحصاء لأسماء الله –تبارك وتعالى– أصل للعلم بكل معلوم يعني أصل للعلم بالعلوم كلها؛ لأن العلوم كلها راجعة إلى العلم بأسمائه وصفاته، يبين ذلك ابن القيم –رحمه الله– فيقول: فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالى، أو أمرًا، إما خلقًا أو أمرًا، العلوم ترجع إلى أحد هذين الأمرين: إما خلق له، أو أمر أمر به –سبحانه وتعالى– لا تخرج عن هذين.

والله تعالى في القرآن قال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ [1] الخلق لله والأمر لله –سبحانه وتعالى– الخلق خلقه والأمر أمره، جل وعز، فرجع الخلق والأمر إلى أسمائه –سبحانه وتعالى– والعلوم كلها راجعة إلى إما الخلق أو الأمر، إما علمٌ بما خلق، أو علم بما أمر، العلوم راجعة إلى أحد هذين الأمرين إما علم بما خلق أو علم بما أمر والخلق والأمر له، فالعلوم كلها رجعت إلى أسمائه –سبحانه وتعالى– وصفاته، قال موضحًا: إما علم بما كونه، أو علم بما شرعه، هل هناك شيء آخر غير هذين؟ فالعلوم إما علم بما كونه أي خلقه وأوجده، أو علم بما شرعه وأمر به سبحانه وتعالى.

قال: ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، إذًا النتيجة ما هي؟ القاعدة، النتيجة لهذا الكلام القاعدة إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم؛ لأن العلوم كلها راجعة إما إلى الخلق أو إلى الأمر، وهذان راجعان أو صادران عن أسمائه سبحانه وتعالى.

قال: وهما أي الخلق والأمر مرتبطان بها أي بالأسماء الحسنى ارتباط المقتضى بمقتضيه؛ لأنها كلها من مقتضيات أسماء الله، الخلق من مقتضيات أسمائه، والأمر من مقتضيات أسمائه، فهي مرتبطة بأسمائه –سبحانه وتعالى– ارتباط المقتضى بمقتضيه.

- ١سورة الأعراف آية : ٥٤.

ثم أيضًا زاد الأمر بيانًا وتوضيحًا فقال: فالأمر، رقم واحد، قال: فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن، الأمر كله حسن، لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم، انظر هذه كلها معاني أسمائه التي صدر عنها أمره -سبحانه وتعالى- لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان إذ مصدره أسماؤه الحسنى، هذا الأول.

اثنين: قال: وفعله كله لا يخرج عن الأدب والحكمة والمصلحة، والرحمة؛ إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدى ولا عبثًا، فإذًا الأمر رجع إلى الرحمة والحكمة والرأفة والإحسان وتكميل العباد، والخلق والفعل أيضًا رجع إلى الحكمة والرحمة واللطف، فكان بذلك الأمر والخلق مرتبطين بأسماء الله الحسنى ارتباط المقتضى بمقتضيه.

قال: وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده، تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم به أصل للعلم بكل ما سواه. أيضًا يزيد الأمر بيانًا قال: فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي -وضَعْ خطوطًا إن شئت تحت كلمة كما ينبغي- أما أن يحفظ الأسماء حفظًا مجردًا أو يفهمها فهمًا خاطئًا، أو يفهمها فهمًا قاصرًا، أو يقع في تأويلات أهل الضلال، فكل هؤلاء لا يستفيدون هذا الأثر الذي ذكره ابن القيم -رحمه الله- بل تتحقق هذه الفائدة إذا أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق، كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

وكما أشرت سيأتي قاعدة عند ابن القيم تبين ما المراد بإحصاء أسماء الله، قال: إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات -يعني هذا عود لتقرير ما سبق- هي من مقتضاها ومرتبطة بها. قال: وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به، أو لعدم حكمته، وهذان منتفيان، والله -سبحانه وتعالى- منزه عنهما، لكن إذا وقع خلل في فعل إنسان، فالخلل عائد إلى ماذا؟ إما الجهل، أو عدم الحكمة، يعني عنده علم لكن لا حكمة عنده فيقع الخلل، فإذا وجد علم

وحكمة تنتظم الأمور، وأفعال الله –سبحانه وتعالى– كلها صادرة عن علم وحكمة؛ ولهذا لا خلل فيها.

.....

قال: وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوتٌ ولا تناقض، فهذه قاعدة مفيدة، ولا سيما في باب معرفة أهمية وقدر العناية بهذا العلم الشريف المبارك، العلم بأسماء الله الحسنى وأنه أصل للعلم بكل معلوم، وهذا يبين لنا شرف هذا العلم وفضله، وكما يقال شرف العلم من شرف معلومه. نعم .

أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك

الحادي عشر: أن أسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلًا، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها؛ لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى وهذا باطل، فالشر ليس إليه فكما لا يدخل في صفاته، ولا يلحق ذاته فلا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه لا يضاف إليه فعلًا ولا وصفًا وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل والمفعول؛ فالشر قائم بمفعوله المباين له لا بفعله الذي هو فعله، فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم ذكر –رحمه الله– هذه القاعدة ونصها: أسماء الله كلها حسنى، هذه قاعدة، هذه قاعدة عظيمة، من قواعد الأسماء، أسماء الله، أسماء الله كلها حسنى، والله –جل وعلا– وصفها بذلك في القرآن في أربع آيات، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ (1) **وقال تعالى:** ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ (2) **وقال تعالى:**

- ١سورة طه آية : ٨.

- ٢سورة الأعراف آية : ١٨٠.

. . . . . .

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [1] **وقال جل وعلا:** ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [2] **فأسماؤه تبارك وتعالى كلها حسنى، ليس فيها اسم ليس كذلك، بل جميعها موصوفة بهذا الوصف.**

وأشرت سابقًا إلى أن الحسن فيها يرجع لكونها دالة على صفات والصفات صفات كمال، فلو لم تكن دالة على صفة، لم تكن حسنى، ولو كانت دالة على صفة غير صفة كمال لم تكن حسنى، فهي حسنى لدلالتها على صفات الكمال، حسنى لأنها دالة على صفات الكمال لله جل وعلا، قال ابن القيم: أسماء الله كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلًا، يعني لا يوجد في أسماء الله –تبارك وتعالى– اسم ليس كذلك.

وبناء على هذه القاعدة، لو قال قائل عن اسم من أسماء الله هذا اسم جامد لا يدل على صفة، بماذا ترد عليه؟ بالقاعدة، تقول له: أسماء الله كلها حسنى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [3] **والحسن فيها دلالتها على صفات الكمال ونعوت الجلال والعظمة لله تبارك وتعالى، فليس في أسماء الله اسم جامد لا يدل على صفة، وليس في أسماء الله اسم يدل على صفة نقص، هذا لا يوجد، فأسماء الله –تبارك وتعالى– كلها دالة على صفات ليس فيها اسم لا يدل على صفة، وكلها دالة على صفات كمال ليس فيها اسم دال على صفة نقص.**

قال: وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، وهذا ما أشرنا إليه قبل قليل، الاسم الدال على فعل متعد أو فعل مجاوز، فمن أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، يعني باعتبار دلالته على

- ١سورة الإسراء آية : ١١٠.

- ٢سورة الحشر آية : ٢٤.

- ٣سورة الأعراف آية : ١٨٠.

فعل متعد أو فعل مجاوز مثل: الخالق والرازق والمحيي والمميت، هذه الأسماء الأربعة ولها نظائر كثيرة نثبت منها كم أمر لله؟ ثلاثة: الاسم والصفة والحكم، الخالق الخلق يخلق، الرازق الرزق يرزق، المحيي الإحياء يحيي، المميت الإماتة يميت.

قال: إن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل وذكر هذه الأسماء، قال: وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها، أفعال الله كلها صادرة عن أسمائه، وأسماؤه كلها حسنى، ومعنى كلها حسنى أي دالة على صفات الكمال، إذًا أفعاله –سبحانه وتعالى– الصادرة عن أسمائه، وكل أفعاله صادرة عن أسمائه، كلها خيرات محضة لا شر فيها، فإذًا الشر كما جاء في الحديث: والشر ليس إليك الشر لا يدخل في أسمائه ولا يدخل في صفاته، ولا يدخل في أفعاله لأن أسماءه حسنى وصفاته وفعاله عن أسمائه فالشر ليس إليه –سبحانه وتعالى– ولا يضاف إليه لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وأفعاله –سبحانه وتعالى– كلها خيرات محضة، لا شر فيها.

قال: لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم – يعني من هذا الفعل – ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، يعني لكان بهذا الأمر يوجد في بعض أسمائه ما ليس موصوفًا بهذا الوصف، وهذا يتنافى مع القاعدة التي دل عليها القرآن: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [1] كلها حسنى بدون استثناء مثل ما قال ابن القيم: ليس فيها اسم غير ذلك أصلًا، قال: وهذا باطل، ثم بين فيما يتعلق بالشر قال: فالشر ليس إليك، وهذا جاء في الحديث هذا اللفظ: والشر ليس إليك فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته فلا يدخل في أفعاله؛ فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلًا ولا وصفًا وإنما يدخل في مفعولاته.

الشر لا يضاف إليه، ليس في أسمائه وليس في صفاته وليس في أفعاله الشر ليس إليك كما في الحديث، ولكنه داخل في المفعولات، ما هي المفعولات؟ المخلوقات التي خلقها – تبارك وتعالى– وأوجدها بقدرته ففي المفعولات يوجد، ولكن فعل الرب – سبحانه وتعالى – ووصف

- ١سورة الأعراف آية : ١٨٠.

الرب – سبحانه وتعالى – منزه عن الشر ولا يضاف إليه، أفعاله كلها خيرات محضة، فالشر يقع في المفعولات.

.....

قال ابن القيم: وفرق بين الفعل والمفعول. أي: أن من لم يفرق بين الفعل والمفعول يقع في الخطأ فينسب الشر إلى فعل الرب، ينسب الشر الذي يراه في المفعولات إلى فعل الرب، ويضيفه إلى الرب – سبحانه وتعالى – وهذا خطأ، قال: فالشر قائم بمفعوله المباين له، مفعوله أي مخلوق الله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله، فعله الذي هو فعله: الخلق الرزق الإحياء الإماتة إلى غير ذلك من أفعاله، هل هذه الأفعال فيها شر؟ هذه الأفعال بعينها التي هي فعله – سبحانه وتعالى – هل فيها شر؟

الجواب: لا، الشر في مفعوله الذي هو مخلوق الله – سبحانه وتعالى – لا فعل الله الذي هو فعله – سبحانه وتعالى – فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هنا نقل أوردته عن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في مجلده الثامن في الصفحة الرابعة والتسعين وما بعدها، يقول –رحمه الله– وقد ذكر أن الشر لم يضف إلى الله في الكتاب والسنة إلا على أحد وجوه ثلاثة:

إما بطريق العموم كقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [1] **وإما بطريقة إضافته إلى السبب كقوله:** ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ [2] **وإما بحذف فاعله كقوله عن الجن:** ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠ ﴾ [3] **ثم قال: ولهذا ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن**

- ١سورة الرعد آية : ١٦.

- ٢سورة الفلق آية : ٢.

- ٣سورة الجن آية : ١٠.

الشر، وهذه قاعدتنا التي أوردها ابن القيم هنا، قال: ولهذا ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر، وإنما يذكر الشر في مفعولاته كقوله:

. . . . . .

﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1] **وقوله:**

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [2] **وهذا موجود في المجلد الثامن من الفتاوى الصفحة الرابعة والتسعين، ولابن القيم كلام مطول في هذا في كتابه شفاء العليل، نعم .**

- ١سورة الحجر آية : ٤٩-٥٠.

- ٢سورة الأعراف آية : ١٦٧.

مراتب إحصاء أسمائه سبحانه وتعالى

قال رحمه الله تعالى: الثاني عشر: في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح، المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها، المرتبة الثانية: فهم معانيها، ومدلولها، المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (1) وهو مرتبتان، أحدهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم.

ومن تأمل أدعية الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة، الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برجان وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للعبادة والسؤال، فمراتبها أربع أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة، وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال التخلق، وأحسن منها عبارة من قال: التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن.

- 1سورة الأعراف آية : 180.

. . . . . .

ثم ذكر ابن القيم –رحمه الله– هذه القاعدة، وهي قاعدة عظيمة ومفيدة لكل مسلم لتحقيق العمل بقول النبي ﷺ الثابت في الصحيحين: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة» وهذا يدل على فضل العلم بأسماء الله وصفاته، وشرف هذا العلم وما يترتب عليه من الفوائد العظيمة والآثار المباركة في الدنيا والآخرة، بل قال ابن القيم رحمه الله كما قرأنا، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح، يعني: السعادة تدور على هذا وترتكز عليه وإليه ترجع وعليه تنبني، العلم بأسماء الله –تبارك وتعالى– وإحصائها، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كلما ازداد العبد علما بالله وبأسمائه – سبحانه وتعالى – وصفاته زاد الخير فيه، وزاد الصلاح بحسب ذلك، كما يقول ابن القيم: من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ولعبادته أطلب، وعن معصيته أبعد.

فكل هذه الأمور ترجع إلى العلم بالله –تبارك وتعالى– وبأسمائه الحسنى، والحديث قال فيه ﷺ «من أحصاها دخل الجنة» فقوله: من أحصاها يحتاج إلى فقه؛ لينال العبد الثمرة المذكورة في الحديث: دخل الجنة فما هو الإحصاء الذي يترتب عليه هذا الدخول وهذا الثواب العظيم؟ أهو قراءة هذه الأسماء قراءة مجردة؟ بعض العوام لديهم ورقة مكتوب فيها تسعة وتسعين اسما، وبعضها ربما أنه لم يثبت أنه من أسماء الله ويضعها في جيبه ثم يخرجها، بعض المرات فيقرأها أو يقرأها في ورد الصباح والمساء، مع أنه لم يرد أن يقرأ في ورد الصباح والمساء الأسماء، أسماء الله تبارك وتعالى، أو مثلا أدبار الصلوات، أو بعضهم يعلقها كلوحة جمالية في البيت، لوحة جمالية للبيت، يعلق الأسماء الحسنى بمنبر مزخرف ومنمق وجميل ويكون هذا هو حظه منها، يكون هذا حظه من أسماء الله، هل هذا هو الإحصاء؟

حاشا وكلا، حاشا وكلا أن يكون هذا هو المراد، ولا حظ له من الإحصاء من كان نصيبه منه مثل هذه الأشياء ومثل هذه الأعمال التي لم ترد، بل بعضها قد يكون فيه شيء من الانتقاص وعدم الاهتمام وعدم قدر أسماء الله –تبارك وتعالى– حق قدرها فيحتاج المقام هنا إلى معرفة الإحصاء ما هو إحصاء أسماء الله، فقرر ابن القيم هذه القاعدة العظيمة في بيان إحصاء أسماء الله ما هو ماذا يكون؟ فقال –رحمه الله–:

مراتب إحصاء أسماء الله، يعني قال هذه القاعدة في بيان مراتب إحصاء أسماء الله وذكر أنها ثلاثة، يعني: لا يكون الإحصاء لأسماء الله -تبارك وتعالى- إلا بهذه المراتب الثلاثة أي: إلا بأن يحقق العبد هذه المراتب الثلاثة، ما هي؟

قال الأول: إحصاء ألفاظها وعددها، يعني تحفظها، وتعرفها اسما اسما من أسمائه كذا، ومن أسمائه كذا، ومن أسمائه كذا، تحفظ أسماء الله -تبارك وتعالى- الواردة في الكتاب والسنة، فالإحصاء بحفظها ومعرفتها هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني: بفهم المعاني والمدلولات كل اسم من هذه الأسماء دال على معان، كل اسم دال على صفة، وبعض الأسماء كما في القاعدة المتقدمة يدل على أكثر من صفة، فيحتاج هنا ليكون العبد من المحصين لهذه الأسماء أن يفهم معانيها، ويشترط في الفهم أن يكون فهما صحيحا بعيدا عن شطط أهل الأهواء، وشبهات أهل الباطل، وتأويلات المتأولين التي تحرف الإنسان عن هذا الطريق.

والأمر الثالث: دعاؤه سبحانه وتعالى بها، دعاؤه بها، وهو هنا -رحمه الله- يشير إلى أن كل اسم من أسماء الله الحسنى له عبودية يقتضيها الاسم، كل اسم من أسماء الله الحسنى له عبودية يقتضيها هذا الاسم، وهذه العبودية هي مقتضيات وموجبات إيمانك بهذا الاسم، فمن إحصائك لأسمائه -تبارك وتعالى- أن تحقق العبودية التي يقتضيها هذا الاسم، وسأشير إلى بعض الأمثلة.

قال: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [1] وذكر هنا أن دعاء الله بأسمائه له مرتبتان:

مرتبة دعاء الثناء والعبادة، ومرتبة دعاء الطلب والمسألة، مرتبة دعاء الثناء والعبادة، يعني: أن تحقق العبادة التي يقتضيها الاسم، وتثني على الله سبحانه وتعالى بهذا الاسم، وتعلم عظمة الله وجلاله وكماله بهذه الأسماء الحسنى والصفات العظيمة فهذه مرتبة ثناء وعبادة يعني أن تخضع وتذل لله بما

- ١سورة الأعراف آية : ١٨٠.

تقتضيه هذه الأسماء فمثلا إيمانك باسمه –تبارك وتعالى– العليم، إيمانك باسمه العليم، يعني توضيح

.....

—

للمنهج منهج الإحصاء إحصاء الأسماء، من أسمائه العليم، من أسمائه –تبارك وتعالى– العليم، تحفظ هذا وتعرف أن لله هذا الاسم، وتعرف شيئا من أدلته، ثم تنتقل للأمر الثاني تفهم المعنى الذي دل عليه هذا الاسم، والصفة الثابتة لله –تبارك وتعالى– من هذا الاسم، وأن هذا الاسم دال على ثبوت العلم لله –جل وعلا– وأنه سبحانه يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا، وأنه – سبحانه وتعالى – يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتتأمل في هذه المعاني العظيمة التي يدل عليها هذا الاسم، ثم تحقق العبودية التي يقتضيها هذا الإيمان منك بهذا الاسم والصفة التي دل عليها، فما العبودية التي يقتضيها إيمانك بعلم الله بك واطلاعه عليك ورؤيته لك، وأنه لا تخفى عليه منك خافية:

إذا خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولهذا ضعف إيمان العبد بأسماء الله – سبحانه وتعالى – وصفاته وضعف استحضاره لهذا الإيمان في أحواله هو الذي يستجره للوقوع في الإثم والوقوع في الذنب، وإلا لو كان حاضر في ذهنه، ومستحضر عظمة ربه واطلاع الله – سبحانه وتعالى – عليه ورؤيته له، لامتنع وكف، مثل ما ذكر ابن رجب –رحمه الله– في كتابه شرح كلمة الإخلاص أن أعرابيا لقي أعرابية في الصحراء فراودها عن نفسها، راودها عن نفسها قال لها: نحن في مكان لا يرانا إلا الكواكب يعني: من أي شيء تخافين؟ ما أحد يرانا نحن في مكان لا يرانا إلا الكواكب، فقالت له: وأين مكوكبها؟ أين مكوكبها؟ مكوكب الكواكب أين هو ألا يرانا؟ فامتنع الرجل.

لاحظ هذا الاستحضار ماذا أفاد؟ أفاد هذه المرأة، وأفاد من ذكرته، أحد السلف رأى رجلا وامرأة بريبة قال: إن الله يراكما سترنا الله وإياكما، ذكرهما برؤية الله، ولهذا استحضار العبد لرؤية الله له واطلاعه عليه، يحجزه، ولهذا قال الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ ﴾ [1] فكلما ازداد العبد علما بأسماء الله –تبارك وتعالى– ترتب على ذلك تحقيقه لما يقتضيه هذا العلم من عبودية لله، وهكذا قل في جميع الأسماء.

إيمانك باسم الله التواب ماذا يقتضي؟ والتواب هذا الاسم لله – سبحانه وتعالى – يدل على نوعين من التوبة لله –جل وعلا– على عبده، توبة قبل توبة العبد، وتوبة بعد توبة العبد كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ [2] هذه توبة قبل توبة العبد، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [3] فالله –جل وعلا– تواب يوفق من شاء للتوبة، وتواب يقبل توبة التائبين من عباده، فإذا آمنت بأن الله تواب ما الذي عليك؟ ما الذي يقتضيه هذا الإيمان؟ أن تتجه إليه وتلتجئ إليه دائما أن يتوب عليك، وأن يجعلك من التوابين والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويفرح – سبحانه وتعالى – بتوبة عبده إذا تاب وهو غني عن توبته: ﴿ لله أشد فرحا بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم أضل راحلته بفلاة وعليها طعامه وشرابه حتى إذا أيس منها استظل تحت ظل شجرة ينتظر الموت فبينا هو كذلك إذا بخطام ناقته عند رأسه فأمسك بخطام الناقة وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك ﴾ .

يقول عليه الصلاة والسلام: الله أشد فرحا بتوبة عبده إذا تاب من هذا، فإذا عرف العبد أن الله تواب وأنه يحب التوابين ويفرح بتوبة التائبين، ما الذي يجب عليه؟ أيليق بمن عرف هذه المعرفة أن ينصرف إلى المعاصي، وينهمك في الذنوب؟ أو أن اللائق بمن عرف هذه المعرفة أن يقبل على الله تائبا منيبا سائلا ربه –جل وعلا– أن يتوب عليه، وأن يثبته وأن يهديه، وأسماء الله –تبارك وتعالى– كلها مقتضية للعبودية وموجبة للطاعة، ومن إحصاء أسمائه – سبحانه وتعالى – أن يحقق العبد ذلك

- 1سورة فاطر آية : ٢٨.

- 2سورة التوبة آية : ١١٨.

- 3سورة الشورى آية : ٢٥.

أن

....

ـــ

يحقق العبودية التي يقتضيها هذا الاسم، ولعل هذا المعنى يوضح لكم قول ابن القيم قريبا أن الإحصاء قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح، متى يكون الإحصاء لأسماء الله قطب السعادة، ومدار الفلاح والنجاة؟ لا يمكن أن يكون إلا بمثل هذه الطريقة، هذا فيما يتعلق بالنوع الأول.

النوع الثاني: دعاؤه بها دعاء الطلب والمسألة، قال: فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى – هذا راجع للأول – وصفاته العلا، وكذلك لا يسأل إلا بها، لا يسأل إلا بها يعني لا يسأل إلا بأسمائه الحسنى، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء، أو يا ذات، اغفر لي وارحمني؛ لأن هذه داخلة في باب الإخبار ولا يدعى الله إلا بأسمائه، أما ما يخبر عنه به لا يدعى به، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [1] ولا يعبد أيضا لله بها لا يقال: عبد الشيء ولا عبد الموجود ولا عبد الذات، ولا نحو ذلك، فهذا كله خطأ وضلال فلا يعبد إلا لأسمائه – تبارك وتعالى– الحسنى ولا يدعى إلا بها – سبحانه وتعالى – فمن إحصائها دعاؤه بها، ثم نبه على أمر سبق الإشارة إليه وهو أن يراعي في دعائه سبحانه وتعالى بأسمائه ماذا؟ ما يناسب المطلوب، قال: بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب، وهذا مترتب على الفقه والعلم والفهم لأسماء الرب –تبارك وتعالى– الحسنى.

قال: فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم، قال: ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم صلوات الله وسلامه عليهم وجدها مطابقة لهذا، ثم قال –رحمه الله–: وهذه العبارة، الإشارة بقوله: وهذه العبارة، إلى ماذا؟ الإشارة بقوله: وهذه إلى ماذا؟ دعاؤه، الإشارة بقوله: هذه العبارة دعاؤه بها، قال: وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة، وجاء في حديث لا أصل له: (تخلقوا بأخلاق الله) هو حديث لا أصل له، ولم يثبت عن رسول الله

- ١سورة الأعراف آية : ١٨٠.

ﷺ فهي عبارة غير سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة. هذا كلام باطل.

.....

—

وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برجان وهي التعبد، الآن مر معنا ثلاث عبارات: التخلق –نعم– والتشبه والتعبد، عبارة ابن برجان التعبد، ابن برجان هو: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي، يقال له: ابن برجان توفي سنة ٥٣٦ له ترجمة في سير أعلام النبلاء في المجلد العشرين ص٧٢، قال: وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي العبارة التي ذكرها ابن القيم وهي الدعاء، دعاؤه بها، المتضمن للتعبد والسؤال؛ لأن الدعاء مرتبتان دعاء مسألة ودعاء عبادة، ثم لخص ما سبق، قال: فمراتبها أربعة: أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال: التخلق، وأحسن منها عبارة من قال: التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن.

هنا أشير إلى أمر لا أدري يعنيكم كثيرا أو لا، ولكنه أتعبني كثيرا لما كنت اشتغلت في هذا الجزء من كتاب ابن القيم على نسخ خطية ثلاث وأفردته يعني من أكثر من عشر سنوات، لما جيت عند هذا الموضع مكتوب في النسخة المطبوعة ابن برهان، في النسخة المطبوعة أبي الحكم بن برهان، وأيضا في نسختين خطيتين مكتوب: أبو الحكم بن برهان، فالتحقيق في هذا المقام يقتضي أن تبحث عن الرجل الذي بهذا الاسم من هو، فبحثت كثيرا وأخذ مني وقتا ولم يكن متوفر وسائل البحث الآن في الكمبيوتر والأقراص وكذا، فأخذ مني وقتا في التقليب في الكتب أبحث عن رجل بهذا الاسم أبو الحكم بن برهان، فما وجدت، ثم بحثت عن نسخة خطية ثالثة للكتاب قلت لعلها تفتح لي أفقا في الأمر، فوجدت نسخة كتب فيها في هذا الموضع: لأن الحكم برزخان النسخة الثالثة، قال: لأن الحكم برزخان، وإذا معنى بعيد يعني ما هو وارد هنا، فقال: وأحسن منها عبارة: لأن الحكم برزخان. تأملت ما يستقيم هذا، فهذه النسخة التي طلبتها مسعفة أصبحت يعني ما لها ثمرة، فأشكل علي الأمر فسبحان الله لم أجد الصواب إلا في نقل للسفاريني –رحمه الله– نقل هذا الكلام، هذا الموضع نقل في كتابه لوامع الأنوار، وكتبت عنده لأبي الحكم بن برجان، فثلاث نسخ خطية كلها

خطأ والصواب في كتاب آخر، الصواب في كتاب آخر نقل عن ابن القيم –رحمه الله– هذا الموضع، فهذه كانت يعني أخذت مني شيء من الوقت، نعم، تفضل .

الأسماء التي تطلق على الله وعلى العبد

قال رحمه الله تعالى: الثالث عشر: اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العبد كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك، ونحوها، فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادا، الثاني: مقابله وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشي، الثالث: أنها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به وليس هذا موضع التعرض لمأخذ هذه الأقوال وإبطال باطلها وتصحيح صحيحها، فإن الغرض الإشارة إلى أمور ينبغي معرفتها في هذا الباب، ولو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرين أو أكثر.

—

يغرف من بحر رحمه الله، ثم ذكر هذه القاعدة في اختلاف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد، الحي السميع البصير العليم القدير الملك ونحوها، فهذه يقال عن العبد إنه حي، والله أيضا حي، سميع وسميع، بصير بصير، فما القول في هذه الأسماء التي تطلق على الرب وعلى العبد؟ قال: قالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادا، ما معنى مجاز في الرب؟ ما هو المجاز؟ قسيم الحقيقة، المجاز قسيم الحقيقة، وإن شئت قل: المجاز ما ليس بحقيقة، المجاز قسيم الحقيقة أي ما ليس بحقيقة، وأخص أوصاف المجاز عند القائلين به أنه يصح نفيه، مثلا، الأمثلة المشهورة في التعريف بالمجاز يقولون: زيد أسد، يقولون هذه مجاز، زيد أسد، هذا مجاز، لماذا مجاز؟ لأنه يصح أن تلغيه، تقول: لأ ليس بأسد هو إنسان، فكل ما كان من هذا القبيل يعني الذي يصح نفيه يقولون: إنه مجاز، إذًا لما يقول هؤلاء أسماء الله – سبحانه وتعالى – هي فيه مجاز معنى ذلك أنه يصح أن تنفيها ولا تثبتها لله – سبحانه وتعالى – فإذًا حقيقة القول بأن أسماء الله – سبحانه وتعالى – وصفاته مجاز أي لا حقيقة

لها، نفيها وتعطيلها، ولهذا

.....

—

قال ابن القيم: وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادا، أي خبث أشنع! وأي فساد أفظع من أن يقال إن أسماء الله وصفاته غير حقيقية ولا حقيقة لها؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

قال: الثاني مقابله، يعني ضد هذا القول وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، يعني هذه الأسماء حقيقة في الرب وتطلق على العبد على وجه المجاز، يعني على غير وجه الحقيقة، وهذا قول أبي العباس الناشي وذكر في ترجمته في سير أعلام النبلاء أو في تاريخ الإسلام أنه من المعتزلة، كما ذكر ذلك الذهبي –رحمه الله– في ترجمته له في تاريخ الإسلام، وكان قد توفي عام مائتين وثلاثة وستين، يلقب بالناشي.

القول الثالث: وهو الحق أنها حقيقة فيهما، يعني هذه الأسماء وما تدل عليه من صفات هي حقيقة في الرب وحقيقة في العبد، وهذا قول أهل السنة والجماعة وهو الصواب، ثم ذكر – رحمة الله عليه – قاعدة ذهبية ونافعة جدا في هذا الباب، وفي نسختي أنا كتبتها مكبرة، قال: واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، اختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، يعني هذه السمع مثلا، مثال السمع حقيقة في الرب وحقيقة في العبد، سمع حقيقي في الرب، وسمع حقيقي في العبد، والسمع فيهما مختلف سمع الله يخصه ويليق به، وسمع العبد يخصه ويليق به، فالحقيقتان مختلفتان، فهل اختلاف الحقيقتين يخرجها عن كونها حقيقة؟ لا يخرجها، هي تبقى حقيقة في الرب وحقيقة في العبد، ولكن حقيقتان مختلفتان.

وهنا قاعدة مفيدة يذكرها العلم وهي أن الإضافة تقتضي التخصيص ما معنى ذلك؟ أي أن ما يضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – يخصه ويليق به ويليق بجلاله وكماله، وما يضاف إلى العبد يخصه ويليق به ويليق بنقصه وضعفه، فالإضافة تقتضي التخصيص، فالسمع إذا أضيف إلى الله يخص الله، وهو حقيقة يليق بالرب – سبحانه وتعالى – وإذا أضيف إلى العبد فإنه يخص العبد ويليق بالعبد، وهو في الرب حقيقة وفي العبد حقيقة، وليست الحقيقة كالحقيقة.

ومن القواعد أيضا التي ذكرها العلم هنا وقررها السلف قديما اتفاق الأسماء لا يلزم منه اتفاق الحقائق والمسميات، فيكون الاسم متفقا ولكن الحقيقة مختلفة، وهذا أمر نحن ندركه بين مخلوق

ومخلوق، على سبيل المثال الأسد له قوة والنملة لها قوة، هل يلزم من إثباتنا قوة للنملة أن نكون

.....

—

شبهنا النملة بالأسد؟ ما أحد يقول هذا، هذا أمر نحن ندركه بين المخلوق والمخلوق، فكيف الأمر بين الخالق والمخلوق، الحقيقة مختلفة، النملة لها قوة تستطيع أن تحمل بها القطعة الخفيفة من الطعام وتصعد بها فلها قوة، والأسد له قوة، لكن حقيقة قوة الأسد مختلفة، وما أظن أن الأسد يرضى أن يقال: إن قوته مثل قوة النملة بحجة أن كلا منهما فيه قوة.

فيقول ابن القيم –رحمه الله– اختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما ثم قرر هنا قاعدة، قال: وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به، يمكن أن تقول هنا ما ذكره أهل العلم؛ لأن الإضافة تقتضي التخصيص، أي: أن ما يضاف إلى الرب – سبحانه وتعالى – يخصه ويليق به، وما يضاف إلى العبد يخصه ويليق به، ثم قال: وليس هذا موضع التعرض لمأخذ هذه الأقوال أي الباطلة وإبطال باطلها وتصحيح صحيحها، ولمأخذ هذه الأقوال أي عموما، وإبطال باطلها وتصحيح صحيحها فإن الغرض الإشارة إلى أمور ينبغي معرفتها في هذا الباب، وهذا يوحي إليك أن ابن القيم هنا يراعي لك الاختصار وذكر القواعد والكليات العامة بدون البسط والتطويل، يقول: هذا له موضع آخر، ولو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرين أو أكثر يعني مجلدين أو أكثر فهو – رحمة الله عليه – يغرف من بحر، نقف هنا والحديث إن شاء الله يتم في الدروس القادمة، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: نواصل مستعينين بالله ﷻ القراءة في هذه الفوائد الجليلة في قواعد الأسماء والصفات لابن القيم –رحمه الله–تفضل .

دلالة الأسماء التي تطلق على الله وعلى العبد

بسم الله الرحمن الرحيم. قال المؤلف -رحمه الله تعالى- الرابع عشر: أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاثة اعتبارات:

اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب -تبارك وتعالى- أو العبد.

الاعتبار الثاني: اعتباره مضافا إلى الرب مختصا به.

الثالث: اعتباره مضافا إلى العبد مقيدا به، فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب وللعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به، وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء، فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محظور فيه بوجه، بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا يشابههم فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله، ومن أثبته له على وجه يماثل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه، بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برئ من فرط التشبيه ودم التعطيل.

وهذه طريقة أهل السنة، وما لزم الصفة لإضافته إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك، وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به، وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه إلى ما هو عال عليه وكونه محمولا به مفتقرا إليه محاطا به، كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام -تبارك وتعالى- وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم،

وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرا، وعقلتها كما ينبغي خلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين: آفة التعطيل، وآفة التشبيه، فإنك إذا وفيت هذا المقام حقه من التصور، أثبتت لله الأسماء الحسنى والصفات العلا حقيقة، فخلصت من التعطيل، ونفيت عنه خصائص المخلوقين ومشابهتهم، فخلصت من التشبيه، فتدبر هذا الموضع واجعله آخيتك التي ترجع إليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب.

—

ذكر ابن القيم –رحمه الله– هنا قاعدة عظيمة جدا ومفيدة للغاية لطالب العلم، ولهذا أنصح الجميع أن يتأملوا هذه القاعدة مرات عديدة؛ لأنها نافعة جدا لطالب العلم ولا سيما في مقام الرد على المبطلة ومعطلة الصفات، وأرباب الكلام، فمن عرف هذه القاعدة وجعلها آخيته كما عبر ابن القيم –رحمه الله– والآخية هي: عود يركز في الأرض ويشد به حبل وتربط به الدابة، فإذا تحركت لا تستطيع أن تتحرك إلا في حدود محيط امتداد الحبل، أما أبعد من ذلك لا تذهب، فإذا جعله العبد آخيته يعني: يصبح كل كلامه في هذا الباب يدور حول هذا الأصل، وهذا يؤكد أهمية هذا الأصل في هذا الباب العظيم، ولا سيما باب الرد على المخالفين، ولا سيما الرد على المخالفين، اجعل هذا آخيتك يعني: مرجعك الذي عليه ترتكز ومنه تنطلق.

وابن القيم –رحمه الله– أحسن أيما إحسان في تقرير هذا الأصل وتوضيحه وبيانه، فذكر أن للصفة ثلاثة اعتبارات: اعتبار من حيث هي، اعتبار للصفة من حيث هي بقطع النظر عن إضافتها إلى الرب أو العبد، الصفة من حيث هي، مثل: السمع، البصر، العلم، الإرادة، المشيئة، هذه الصفات الآن أطلقت ولم تضف إلى الرب ولم تضف إلى العبد، هذا اعتبار.

الاعتبار الثاني: اعتبار الصفة من حيث إضافتها إلى الرب سمع الله، بصر الله، علم الله، إرادة الله، مشيئة الله إلى آخره.

الاعتبار الثالث: اعتبار الصفة من حيث إضافتها للعبد سمع العبد، علم العبد، إرادة العبد، قوة العبد، وهكذا، فهذه اعتبارات ثلاثة للصفة، وينبغي أن يلاحظ في كل اعتبار من هذه الاعتبارات ما

. . . . . .

يقتضيه من لوازم، ويعطى كل اعتبار منها لوازمه، دون خلط في اللوازم، الخلل يأتي متى؟ عندما يخلط بين اللوازم، فيجعل لازم الصفة مثلا باعتبار إضافتها للرب لازما للصفة إذا أضيفت للعبد، أو مثلا العكس، فهنا ينشأ الخلل، وخلل المتكلمين كما سيأتي إيضاح ذلك ناشئ من هذه الجهة خلط في اللوازم، فأنت إذا عرفت هذه الاعتبارات الثلاث وأعطيت كل اعتبار منها ما يختص به من لوازم أمنت من الخلل، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تمكنت أن ترد على من وجد عنده الخلل؛ لأنك إذا عرفت هذه الاعتبارات الثلاثة لما تستمع لمتكلم أو تقرأ لمتكلم بحكم درايتك بهذه الاعتبارات وما تعنيه وما تقتضيه من لوازم تدرك موطن الخلل من أين جاء وما السبب.

فإذًا هذه الاعتبارات مراعاتها ومعرفتها مهمة للغاية لطالب العلم في مقام تقرير الحق، وفي مقام أيضا الرد على المبطلين، وتوضيح لما ذكره ابن القيم بالمثال وهو أيضا ذكر أمثلة سنمر عليها، الاعتبار الأول: اعتبار الصفة من حيث هي يعني بقطع النظر عن إضافتها إلى الرب أو العبد، عندما تقول مثلا السمع –هكذا بالإطلاق– السمع، دون أن تضيفه إلى الرب أو دون أن تضيفه إلى العبد، السمع، البصر، العلم، الإرادة، ماذا يلزم الصفة بهذا الاعتبار؟

يلزم السمع أن تثبت منه إدراك المسموعات هذا هو معناه، البصر رؤية المبصرات، وأنت عندما تسمع هذه الكلمات عند الإطلاق تدرك بينها فرقا أو لا تدرك، من خلال معرفتك باللغة، وإن لم تضف السمع البصر العلم الإرادة هل يقول من يعرف اللغة أنا لا أعرف إيش الفرق بين السمع وبين البصر وبين الإرادة؟ أبدا، معروف أن السمع يعني كذا ، والبصر يعني كذا والإرادة تعني كذا، والمشيئة تعني كذا، كل من هذه الصفات لها لوازم، إذًا لازم الصفة عند الإطلاق إثبات ما تدل عليه من معنى.

فنقول: لو سئلنا ما هو السمع؟ ما المراد به؟ إدراك المسموعات، ما البصر؟ رؤية المبصرات، فيه فرق بين السمع والبصر؟ نعم، نعرف فرق في اللغة بين السمع والبصر، السمع هو كذا والبصر هو كذا، وكل صفة وأخرى ندرك الفرق بينها وبين الأخرى بما نعرفه من دلالات اللغة، إذا أضيف السمع إلى الله فهو إدراك المسموعات، إذا أضيف البصر إلى الله هو رؤية المبصرات، إذا أضيف السمع إلى العبد، فهو أيضا ماذا؟ إدراك المسموعات، وإذا أضيف له البصر فهو أيضا رؤية

. . . . . .

المبصرات، هل الحقيقة والمدلول اللغوي تغير عندما يضاف إلى الرب أو عندما يضاف إلى العبد فيصبح مثلا السمع المراد به البصر، أو مثلا يصبح السمع المراد به العلم، أو مثلا يصبح السمع المراد به اليد مثلا؟ لأ، يبقى مدلوله ولازمه اللغوي هو، فالسمع هو إدراك المسموعات، البصر رؤية المبصرات، عندما يضاف إلى الرب يكون مضافا له –سبحانه وتعالى– على وجهٍ مختص به لائق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى، وعندما يضاف إلى العبد يكون على وجهٍ مختص به لائق بضعفه ونقصه، ويبقى هو سمع حقيقي في العبد، ويبقى هو سمع حقيقي في الرب مثل ما مر معنا في القاعدة السابقة، ولا يلزم من الاتفاق في الاسم اتفاق الحقيقتين، بل سمع الله – سبحانه وتعالى – يليق به، وسمع العبد يليق به، فهذا هو لازم الصفة من حيث الإطلاق، فإذا أضيفت إلى الله صارت مختصة به لائقة بجلاله، وإذا أضيفت إلى العبد صارت مختصة به لائقة بضعفه.

ثم ذكر الاعتبار الثاني والثالث، وسنأتي إليهما، ثم فصل كل اعتبار من هذه الاعتبارات الثلاثة، قال: فما لزم الاسم لذاته وحقيقته، ما هو الذي يلزم الاسم لذاته وحقيقته؟ مثل ما ذكرت لكم قبل قليل، السمع يلزمه إدراك المسموعات، البصر يلزمه إدراك المبصرات، فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب وللعبد، وأوضحت بشكل واضح أن ما يتغير الأمر مثلا عندما يضاف إلى الرب يصبح السمع المراد به الإرادة، أو مثلا عندما يضاف إلى العبد يصبح السمع المراد به البصر ما يتغير، الحقيقة هي نفسها التي يدل عليها المدلول تبقى، المعنى الذي يدل عليه المدلول تبقى، لكن الحقيقتين مختلفتان، فما يضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – يخصه ويليق بجلاله، وما يضاف إلى العبد يخصه ويليق بنقصه، ولهذا قال ابن القيم موضحا:

وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به، مثال، قال: وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء، فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، وإلا أصبحت ألفاظا جوفاء لا حقيقة لها ولا مدلول، فصحة الإطلاق حصول المعنى والحقيقة في الموصوف به، حصول المعنى والحقيقة، المعنى مثل ما ذكرنا قبل قليل، فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محظور فيه بوجه، بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا يشابههم، هذا هو المناسب، وهذه الطريقة الصحيحة في الباب أن

. . . . . .

يثبت لله –سبحانه وتعالى– على الوجه اللائق به، وهذه طريقة أهل السنة في هذا الباب، الخطأ الذي يحدث هنا من أهل البدع على نوعين، الخطأ الذي يحدث هنا على نوعين:

أشار إلى النوع الأول بقوله: فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله، هذا نوع من الخطأ، ما هو؟ قالوا: إن هذه أضيفت للعبد السمع والبصر والعلم، ولو أضفناها لله لشبهناه بالعبد، ما المخرج؟ قالوا: المخرج أن ننفيها، فيقول ابن القيم: فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق – يعني: هذا المستند الذي يستندون عليه في النفي ما هو لكونه أطلق على المخلوق– ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله.

والنوع الثاني من الخطأ، قال: ومن أثبته له على وجه يماثل فيه خلقه، فقد شبهه بخلقه، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، هذا النوع الثاني من الخطأ، لاحظتم معي أن نوعي الخطأ كله ناشئ بسبب الخلل في فهم اللوازم، الخطأ الأول فهموا أن إثبات هذه الصفات لله –سبحانه وتعالى– على ضوء ما تدل عليه بإطلاقها يقتضي التشبيه، قالوا: والله منزه عن التشبيه، فالمناسب قالوا أن ننفيها فوقعوا في هذا الخطأ، الآخرون قالوا: نحن لا نعرف هذه الصفات السمع البصر إلا ما نراه في العبد، فإضافتها إلى الله هي مثل ما هي موجودة ونراها في العبد ما ثمة أمر آخر، فماذا فعلوا؟ شبهوا، الأولون عطلوا وهؤلاء شبهوا، فشبهوا صفة الله –سبحانه وتعالى– بصفة خلقه –تعالى الله عما يقولون– ولهذا لما سئل الإمام أحمد –رحمه الله– من المشبه؟ قال: الذي يقول يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، والله يقول: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

ثم ذكر النهج الصواب نهج أهل السنة، قال: ومن أثبته لله على وجه لا يماثل فيه خلقه، بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد برئ من الزللين، زلل المعطلة وزلل المشبهة، لكنه عبر بتعبير جميل، قال: فقد برئ من فرث التشبيه، والفرث تعرفونه، والدم أيضا تعرفونه، والله ﷻ قال في سورة النحل:

- ١سورة الشورى آية : ١١.

....

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [1] **فعقيدة أهل السنة والجماعة مثل اللبن الصافي النقي الذي ليس فيه شوائب، فليس في عقيدتهم لا فرث التشبيه، ولا دم التعطيل، فكل من العقيدتين شبه الأولى بالفرث والأخرى بالدم، وعقيدة أهل السنة والجماعة كاللبن الصافي النقي الذي ليس فيه فرث وليس فيه دم، قال: وهذه طريقة أهل السنة.**

ثم انتقل إلى الاعتبار الثاني للصفة وهو اعتبارها مضافة إلى العبد، قال: وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله.

السؤال: ما الذي يلزم الصفة عندما تضاف إلى العبد؟ عندما نقول: يد العبد، قدم العبد، سمع العبد، بصر العبد، علم العبد، ما الذي يلزمها، وهي أضيفت إلى الناقص إلى الضعيف يلزمها النقص والضعف، وذكرت لكم قاعدة قريبا في درس ماض أن الإضافة تقتضي التخصيص، فالذي يضاف إلى العبد يخصه ويليق به، فالذي يلزم الصفة عندما تضاف إلى العبد يجب أن ننزه الله عنها، الذي يلزم الصفة عندما تضاف إلى العبد يجب أن ننزه الله –تبارك وتعالى– عنها، بالمثال يتضح المقال، أمثلة كثيرة لكن أعطيكم مثلين.

العلم عندما يضاف إلى العبد ما اللوازم التي تلزمه؟ اقرأها في القرآن: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [2] **مسبوق بإيش؟ بجهل** ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [3] **يلحقه في الآخر الضعف والنسيان.**

- ١سورة النحل آية : ٦٦.
- ٢سورة النحل آية : ٧٨.
- ٣سورة النحل آية : ٧٠.

....

—

أيضا في أثناء العلم يعتريه النسيان: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾ [1] وفي الحديث: نسي آدم ونسيت ذريته فأيضا يلحقه نسيان، ومع ذلك أيضا هو علم قليل ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] لو قال لكم قائل في هذه الأثناء: لو أثبتنا العلم لله حقيقة للزم أن يكون علم الله مثل علم العبد، وهذا الذي يقوله أهل البدع في إنكارهم للصفات، لو قال لكم قائل: يلزم من إثبات العلم لله حقيقة أن يكون علم الله كعلم العبد، كيف تردون عليه؟

تقولون: أنت خلطت الآن العلم الذي يضاف للعبد يلزمه لوازم تختص بالعبد، لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تضاف إلى الرب، فالعلم الذي يضاف إلى العبد يلزمه النقص والضعف بحسب من أضيف إليه، والعلم الذي يضاف إلى الرب – سبحانه وتعالى – يلزمه الكمال؛ لأنه أضيف إلى الكامل –سبحانه وتعالى– علم لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان ولا يعتريه نقص، علم محيط بما كان، وبما سيكون وبما لم يكن لو كان يكون، هذا علم الله – سبحانه وتعالى – فانظروا إلى مكمن الداء وسبب الإشكال الذي دخل فيه أهل البدع فيما دخلوا فيه من باطل وتأويل وتحريف.

المثال الثاني: الاستواء، عندما يضاف الاستواء إلى العبد استواؤه على شيء على كرسي على دابة على سفينة ما الذي يلزم هذا الاستواء؟ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [3] ما هو اللي قال:

- ١سورة طه آية : ١١٥.
- ٢سورة الإسراء آية : ٨٥.
- ٣سورة الزخرف آية : ١٣.

﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [1] ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [2] **أي الفلك والأنعام، ولهذا** ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ [3] **فالعبد يستوي على الفلك أي: يعلو ويرتفع عليها، هذا هو معنى الاستواء ومدلوله، لو رجعنا إلى اعتبار الصفة من حيث الإطلاق وقلت لكم الاستواء من حيث هو بقطع النظر عن إضافته إلى الرب أو العبد ماذا يلزمه؟ العلو والارتفاع هذا معناه هذا مدلوله في اللغة نحن نعرف الفرق بين استوى ونزل، ولا نخلط بين المعنيين، فمعناه من حيث هو نعرفه إذا أضيف الاستواء إلى العبد كما هو في المثال الآن، وقلنا: استوى العبد على الفلك، استوى العبد على الأنعام، لو غرقت الفلك التي هو مستوٍ عليها ما الذي يحدث له؟ يغرق، ولو سقطت الدابة التي هو مستوٍ عليها يسقط، ما الذي يلزم استواؤه؟ الاحتياج والافتقار لما هو مستو عليه، هذا اللازم يلزم استواء العبد لنقصه وضعفه واحتياجه وفقره، فهذا لازم يلزم استواء العبد.**

أتدرون ماذا قال المبتدعة معطلة الصفات في عامة كتبهم وفي كثير منها، عندما عطلوا الاستواء وتأولوه بالاستيلاء وبمعاني ماذا قالوا؟ قالوا بالحرف الواحد: يلزم من استواء الله على العرش حقيقة أن يكون الله محتاجا للعرش. بالحرف الواحد، يلزم من استواء الله على العرش حقيقة أن يكون الله محتاجا للعرش، ثم بنوا على ذلك أمرا آخر قالوا: يجب أن ننزه الله عن الاستواء، وبدءوا يبحثون معاني يثبتونها للاستواء على خلاف المشهور والمعروف في دلالة الاستواء لغة، ما معناه؟ قالوا: استولى على العرش ، وهذا معنى لا يليق بالله؛ لأن الاستواء كما قال أهل اللغة: لا بد أن يكون عن مغالبة، الاستيلاء على الشيء يكون استيلاء عليه عن مغالبة، وهذا المعنى لا يليق بالله – سبحانه

- ١سورة الزخرف آية : ١٣.
- ٢سورة الزخرف آية : ١٢-١٣.
- ٣سورة الزخرف آية : ١٣.

وتعالى –.

....

—

طيب وين شاهدكم في اللغة وين الدليل في اللغة على أن استوى بمعنى استولى؟ بدءوا يبحثون وما وجدوا في اللغة وفي أشعار العرب وفي دواوينهم ما وجدوا إلا بيتا لواحد متأخر في القرن الثاني أو الثالث، في القرن الثاني يمدح بشر بن عبد الملك يقول:

لقد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

استوى على العراق، قالوا: استولى على العراق، ما وجد إلا هذا البيت يعني اللي قبل وجود هذا البيت من هذا الشاعر ما عندهم شاهد، في زمن الصحابة وزمن التابعين أوائلهم ما عندهم شاهد يستدلون به أو من كلام العرب ما في شاهد، الشاهد وجد بعد العديد بسنوات طويلة، فاللي قبل الشاهد هذا ما عندهم لا شيء يستندون عليه، فإذًا ماتوا ما عرفوا ها العقيدة، العقيدة هذه ولدت بفتح عظيم عندما وجد البيت التليد هذا، وكل كتبهم التي يقررون فيها هذه العقيدة يستدلون بالبيت مثل ما يستدل أهل السنة بقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [1] وربما في كثير من كتبهم تجد البيت ولا تجد الآية، وأحيانا تجد أن الآية جيء بها لترد، يعني: يقرر العقيدة قبل الآية، ثم يقال له: فإن قيل لك: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [2] فقل: المراد بالاستواء الاستيلاء لقول الشاعر كذا، فالعقيدة قررت قبل الآية، والآية جيء بها لترد.

يقول ابن تيمية: يأتون بالآية إتيان من قصد ردها أصلا، يعني من الأصل هو جاء بها ليردها العقيدة مقررة قبل، انتهت العقيدة قبل الآية، ثم يأتي بالآية يقول لك: إن قيل لك كذا إن قيل لك:

- ١سورة الأعراف آية : ٥٤.

- ٢سورة طه آية : ٥.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [1] **فقل له المراد بالاستواء الاستيلاء، والدليل قول الشاعر كذا وكذا.**

.....

أنت الآن لاحظ بداية المشكلة ما هي حتى تعرف قيمة القاعدة التي نحن الآن ندرسها المشكلة ما هي؟ المشكلة خلط اللوازم، من أين جاءتهم هذه الكلمة التي بكل يعني بكل أريحية خربت عقائدهم وأديانهم جاءت من خلط اللوازم، قالوا – وهذه تجدها في كثير من كتبهم –: لو أثبتنا الاستواء لله على العرش حقيقة للزم من ذلك أن يكون الله محتاجا إلى العرش، تعالى الله عما يقولون ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ [2] **كيف يقال مثل هذا الكلام في الغني؟ يكفي أن يعلم العبد أنه غني – سبحانه وتعالى – عمن سواه، وأن من سواه محتاج إليه، ولهذا أهل السنة يثبتون الاستواء عن غنى لله، يقولون: الله مستو على العرش حقيقة كما أخبر وهو غني عن العرش وما دونه، وهو الممسك للعرش وما دونه بقدرته** ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [3] **فالله – سبحانه وتعالى – هو الممسك للسماوات والممسك للعرش، والممسك لكل شيء** ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ﴾ [4] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [5] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

- ١سورة طه آية : ٥.

- ٢سورة الأنعام آية : ٩١.

- ٣سورة فاطر آية : ٤١.

- ٤سورة الروم آية : ٢٥.

- ٥سورة البقرة آية : ٢٥٥.

ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] **فانظر الخلل المتراكم عند هؤلاء بسبب يعني عدم فهم هذه اللوازم وبسبب الخلط بينها.**

.....

قال: وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد، الآن الحياة أضفها إلى العبد، قل حياة العبد، ما الذي يلزم هذه الحياة؟ سنة نوم موت مرض ضعف، كثيرة لوازم، أرأيتم لو أن واحدا من أولئك القوم قال: لو أثبتنا لله حياة حقيقة للزم أن يكون محتاجا إلى السنة وإلى النوم وكذا، اللوازم المعروفة في العبد، هل في فرق بين هذه المقالة وبين مقالتهم يلزم من استواء الله على العرش أن يكون محتاجا للعرش، فيه فرق بينها ولا كلها على نسق واحد؟ وتجد بعضهم يثبت الحياة ولا يثبت – مع أنه لو أنك ألزمته بطريقته وناقشته بطريقته لتبين له الخلل إن كان الله كتب له الهداية، وإلا يبقى على طريقة أشياخه، ويقول عنز وإن طارت، يعني عقيدة هي هي، وهذا الذي وجدنا عليه أشياخنا وما نناقش ولا.. وكثير منهم إذا ألزم من إنسان محقق إما أن فعلا يكتب الله له الهداية وإلا يصر على عقيدة الأشياخ كيفما كانت ولا يقبل النقاش، وجاء في كتب أهل العلم نماذج من هذا انتهت النقاشات بينهم أن يقول الخصم حدثنا في غير هذا، يعني شوف لنا موضوعا آخر.

وهذا حصل في مناقشات ذكرها ابن القيم –رحمه الله– في الصواعق وذكرها غيره من أهل العلم، إذا ألزم بمثل ها الإلزامات ما فيه إلا إما أن يرجع وإلا يطلب قفل الموضوع، بحيث إنه يبقى على عقيدة أشياخه، كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك، وكذلك ما يلزم إرادته – إرادة العبد – من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به، هذه كلها لوازم إيش؟ لاحظ معي الآن يقولون: الغضب كيف ردوا الغضب صفة لله؟ ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ [2]

- ١سورة فاطر آية : ١٥.

- ٢سورة المجادلة آية : ١٤.

قالوا: لأ أراد أن يعذبهم، وبعضهم قال: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [1] أي عذبهم، نحن لا نقول لا نثبت الغضب، الغضب غليان الدم، هذا ما هو؟ غضب المخلوق، خلط باللوازم ثم يبني على هذا الخلط باللوازم التعطيل والتأويل وركام من الباطل كله ينبني على هذا الخطأ، لكن لو أنهم كانوا على الجادة، وأثبتوا ما لله على ما يليق به، وما للعبد على ما يليق به، انتهت المشكلة.

.....

وأنا دائما أقول للإخوان هنا، يعني الكلام المفيد أقول: هذه أمراض الآن تشبيه تأويل تعطيل إلى آخره، هذه كلها أمراض وجدت، ومعروف أن الطبيب لما يأتيه المريض إذا كان فعلا أول ما يبحث يبحث عن إيش؟ يشخص إيش الجرثومة الأساس اللي منها جاءت الأمراض هذه، فيه جرثومة أساس منها الأمراض تنشأ، فهؤلاء أمراضهم الكثيرة ترجع إلى هذه الجرثومة، وهي أنهم اللوازم التي تختص الصفة حال إضافتها للعبد يجعلونها لازمة للصفة حال إضافتها إلى الرب، ثم يبنون على ذلك إما التعطيل أو التأويل أو التفويض – تفويض أهل البدع – كلها مدارس بنيت على هذا الخطأ.

آخرون سلكوا مسلكا آخر وسببهم هي هذه المشكلة وهم المشبهة، أيضا قالوا: مثل قول هؤلاء وبقوا على التشبيه، قالوا: نحن هذه عقيدتنا؛ لأن هو اللازم ولا نعرف صفة إلا بهذه الطريقة، فقالوا: نحن نثبت لله صفة كصفاتنا، بقوا على التشبيه، وأولئك حاولوا التخلص من التشبيه بماذا؟ بالتعطيل وبالمناهج الكثيرة التي وجدت: تأويل تحريف، تفويض للمعاني، إلى غير ذلك من الباطل.

فيقول –رحمه الله–: وكذلك ما يلزم علوه من هو، واحد من الإخوان يقول ﷻ وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه إلى ما هو عال عليه، من هو؟ العبد، وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه إلى ما هو عال عليه وكونه محمولا به مفتقرا إليه محاطا به، هذا لازم من؟ العبد. لما تقول: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [2] هل أنت يا صاحب السنة تخطر ببالك هذه؟ لا والله، ولا يجوز أن تخطر

- ١سورة الفتح آية : ٦.

- ٢سورة طه آية : ٥.

في بالك الذي يضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – شيء آخر يليق بالله – سبحانه وتعالى – يخصه يليق بجلاله وكماله، الافتقار في العبد، أما الله – سبحانه وتعالى – غني من كل وجه، والعبد فقير إلى الله من كل وجه، فكيف تجعل هذه الصفات التي هي صفات الافتقار التي هي صفات للعبد صفات للرب تعالى الله – سبحانه وتعالى – عما يقولون، هذا الأمر الثاني الاعتبار الثاني.

الاعتبار الثالث: لازم الصفة من جهة اختصاصه تعالى بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه، عندما نقول علم الله، هذا العلم مختص بمن؟ بالله – سبحانه وتعالى – لا يجوز بوجه أن يثبت للعبد، لو أثبت

.....

للعبد يحدث خلل ما هو؟ تشبيه المخلوق بالخالق، والله – سبحانه وتعالى – لا يشبه أحدا من خلقه، كعلمه الذي يلزمه القدم، والوجوب والإحاطة بكل معلوم، هذا علم الله، وقلنا قبل قليل علم العبد ما الذي يلزمه؟ يسبقه جهل، يلحقه نسيان، يعتريه ضعف، علم قليل، ليس محيطا فهذا علم العبد وذاك علم الرب – سبحانه وتعالى –.

قال: وقدرته، قدرته معطوفة على إيش؟ على علمه (كعلمه وقدرته) وقدرته وإرادته وسائر صفاته فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، الآن لو قلت لكم على ضوء ما درسنا الآن إن العلماء يقولون: إن التشبيه نوعان: تشبيه للخالق بالمخلوق، وتشبيه للمخلوق بالخالق، فأبِنْ هذين النوعين على ضوء ما عرفت من هذه القاعدة؟ ما هو تشبيه الخالق بالمخلوق؟ هو أن يجعل لوازم الصفة حال إثباتها أو إضافتها للعبد لازما للصفة حال إضافتها للرب، هذا يسمى تشبيه للخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق أن يجعل لازم الصفة حال إضافتها للرب –تبارك وتعالى– لازما للصفة حال إضافتها للعبد، ولهذا قال العلماء: التشبيه نوعان، وأيضا قالوا: لا يشبه أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحدٌ من خلقه، فكل من هذين التشبيهين ضلال وباطل.

لما ذكر ابن القيم – رحمة الله عليه – القاعدة ووضحها بالمثال أراد أن يبين أهميتها، قال: فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرا وعقلتها كما ينبغي لاحظ الفائدة التي ستأتيك الآن، إذا أحطت بها خبرا، متى تحيط بها خبرا؟ إذا عرفت هذه الأنواع الثلاثة وعرفت ما يلزم كل نوع وأخذت عليها بعض الأمثلة تكون عرفتها، وباب الأسماء والصفات كما قال العلماء واحد، القول في بعض الصفات

كالقول في البعض الآخر، فأنت إذا عرفت القاعدة وعرفت بعض الأمثلة تمشي في كل الصفات على نفس الطريقة.

قال: فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرا وعقلتها كما ينبغي خلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين آفة التعطيل، وآفة التشبيه، فإنك إذا وفيت هذا المقام حقه من التصور أثبت لله الأسماء الحسنى والصفات العلا حقيقة فخلصت من التعطيل، إذا أثبت لله الأسماء الحسنى والصفات العلا حقيقة خلصت من التعطيل، ونفيت عنه خصائص المخلوقين ومشابهتهم فخلصت من التشبيه تخرج

....

—

من الآفتين بهذه الطريقة، فتدبر هذا الموضع واجعله آخيتك التي ترجع إليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب.

قاعدة عظيمة جدا وهي من أنفس القواعد التي أوردها ابن قيم –رحمه الله– في هذه الفوائد هل هي واضحة ولا غير واضحة؟ أنا أعرف أني إذا شرحت الشيء أزيده غموضا ولكن لعلها إن شاء الله تكون يعني ابن القيم وضحها وضرب عليها أمثلة، وربما أنني بالشرح فوت عليكم الفائدة. نعم.

ما يلزم من الصفات وما لا يلزم

قال المؤلف –رحمه الله تعالى– الخامس عشر: أن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أربعة أمور: أمران لفظيان، وأمران معنويان، فاللفظيان: ثبوتي وسلبي، فالثبوتي: أن يشتق للموصوف منها اسم، والسلبي: أن يمتنع الاشتقاق لغيره.

والمعنويان: ثبوتي وسلبي، قال: فالثبوتي: أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه، والسلبي: أن لا يعود حكمها إلى غيره، ولا يكون خبرا عنه، وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات فلنذكر من ذلك مثالا واحدا وهو صفة الكلام، فإنها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم دون من لم تقم به، وأخبر عنه بها، وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال، وأمر، ونهى، ونادى، وناجى، وأخبر، وخاطب، وتكلم، وكلم، ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به، وسلبها عن غيره على عدم قيامها به، وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية، وهو من أصح الأصول طردا وعكسا.

—

ثم ذكر ابن القيم –رحمه الله– هذه القاعدة عقب القاعدة السابقة؛ لأنها متممة لها ومرتبطة بها، وهي تتعلق بما يلزم الصفة فيمن قامت به، فيقول رحمه الله: الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة – متى قامت الصفة بموصوف لزمها أمور أربعة– أمران لفظيان، وأمران معنويان، يعني أمران يتعلقان باللفظ، وأمران يتعلقان بالمعنى، أمران لفظيان وأمران معنويان.

قال: الأمران المتعلقان باللفظ ثبوتي وسلبي، فاللفظيان ثبوتي وسلبي، ثم قال: والمعنويان ثبوتي وسلبي، إذًا عندنا أربعة أمور تلزم الصفة متى قامت بالموصوف، أمران يتعلقان باللفظ، وأمران يتعلقان بالمعنى الذي دلت عليه الصفة، الأمران المتعلقان باللفظ أحدهما ثبوتي والآخر سلبي، والأمران المتعلقان بالمعنى أحدهما ثبوتي والآخر سلبي.

. . . . . .

ابن القيم ضرب مثالا، أنا أضرب مثالا قبل مثاله ثم ندخل في مثاله من باب زيادة التوضيح، العلم هذه صفة، العلم صفة، إذا أضيفت إلى الله وقلنا: علم الله، وعرفنا سابقا الإضافة تقتضي التخصيص، علم الله، فأضيفت إلى الله ما الذي يلزم؟ لاحظ القاعدة يلزم أمور أربعة: أمران يتعلقان باللفظ، وأمران يتعلقان بالمعنى، وكل منهما ثبوتي وسلبي.

الثبوتي: أن يشتق للموصوف منه اسم، نقول: الله عليم، والمعنوي أنتقل إليه، والمعنوي اللي هو ثبوتي، والثبوتي أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه، ماذا نقول: يعلم، الله –سبحانه وتعالى– يعلم وعلم، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فنثبت الاسم العليم ونثبت الحكم، يعلم وعلم، نثبته لله –سبحانه وتعالى– مثل ما سيأتيكم هناك في الكلام، نثبت الاسم متكلم، ونثبت الحكم أمر ونهى وأخبر، كلها مضافة إلى من؟ إلى المتكلم الذي قام به الكلام.

فإذًا هذان أمران ثبوتيان نثبتهما: أحدهما يتعلق باللفظ فنثبت منه اسما، والآخر يتعلق بالمعنى، فنثبت منه حكم العلم عَلِمَ يعلم، نثبت العلم أن الله علم يعلم، علم ما كان وما سيكون إلى آخره، وأمران سلبيان أحدهما يتعلق باللفظ، والآخر يتعلق بالمعنى، الذي يتعلق باللفظ أن يمتنع الاشتقاق لغيره، لو قال قائل: فلان عليم الآن اشتقاق اسم التعليل، قال: لأن الله قام به صفة العلم، هذا صحيح أو باطل؟ باطل، لماذا؟ لأن الصفة إذا قامت بالموصوف اشتق له للموصوف منها اسم، وامتنع أن يشتق لغيره منها من الصفة اللي قامت به، من الصفة التي قامت به، امتنع أن يشتق لغيره منها اسما، هذا يتعلق باللفظ.

والذي يتعلق بالحكم مثل ما قال: والسلبي أن لا يعود حكمها إلى غيره، وإنما حكمها يعود له، فمثلا العلم القائم بالله ما يقال في بيانه أو التعبير عنه، علم فلان وعلم زيد، والمراد علم من؟ علم الرب؛ لأنه يمتنع أن يضاف حكم الصفة المضافة إلى الله إلى غيره –سبحانه وتعالى– فهذا تمثيل لهذا الأمر بالعلم، وابن القيم مثل بالكلام، قال: وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات فلنذكر من ذلك مثالا واحدا وهو صفة الكلام، فإنها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم، دون من لم تقم به، كان هو المتكلم أي: بهذا الكلام دون من لم تقم به، فيشتق لمن قامت به هذه الصفة منها اسم له، فيقال: متكلم، لكن هل يجوز أن نشتق لغيره من صفته هو اسما فنقول مثلا زيدٌ ذو خلق، ونبني

ذلك

....

—

على ما رأيناه من الخلق في عمرو هذا ما يصح نشتق لغير من قامت به الصفة اسما من صفة غيره، فإذًا يثبت له أو يشتق له منها اسم ويمتنع ماذا؟ أن يشتق لغيره من صفته هو اسم.

والأمر الثاني يتعلق بالمعنى نثبت له حكما من ذلك الاسم، فنقول تكلم وقال وأمر ونهى إلى آخره فنثبت له الحكم ويمتنع أن نثبت لغيره الحكم من الصفة التي قامت به هو، قال: فإنها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم دون من لم تقم به، وأخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال وأمر ونهى، ونادى، وناجى، وأخبر، وخاطب، وتكلم، وكلم ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره، فيستدل بهذه الأحكام، قبل ذلك إذا شئتم ترقيمها الأربعة، قال: فإنها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم، هذا رقم واحد، اثنين دون من لم تقم به، وواحد واثنين ما هما؟ متعلقان باللفظ، وأخبر عنه بها هذا رقم ثلاثة، وهو الأمر الثبوتي المتعلق بالمعنى، وأخبر عنه بها، وعاد حكمها إليه دون غيره، هذه تأخذ رقم أربعة، فيقال: قال، وأمر، ونهى، ونادى، وناجى، وأخبر، وامتنعت هذه الأحكام لغيرها هذا أيضا هو أربعة أعاده، فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به وسلبها عن غيره على عدم قيامها به.

وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية، ومن أصح الأصول طردا وعكسا، الطرد هو: التلازم في الثبوت، والعكس هو: التلازم في الانتفاء الذي هو السلب.

ونحن عرفنا أن القاعدة لها جانبان ثبوتيان فهما مضطردان، مضطردان في كل الأمثلة التي من هذا القبيل، ابن القيم ذكر مثال صفة الكلام، ذكرت مثال صفة العلم، وهذان الأمران الثبوتيان هما ثابتان طردا في كل الأمثلة التي من هذا الباب، وعكسا العكس هو: التلازم في الانتفاء، وهذا يتعلق بالجانبان السلبيان المتعلق أحدهما باللفظ والثاني متعلق بالمعنى، أيضا هذا السلب مضطرد في كل الصفات التي قامت بالموصوف، فالطرد هو التلازم في الثبوت، والعكس هو التلازم في النفي الذي هو السلب نعم .

الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد

قال رحمه الله تعالى: السادس عشر: أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابه، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه.

ولهذا قال: استأثرت به أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمية به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه، ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن» وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته، ومنه قوله ﷺ «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وأما قوله ﷺ «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» فالكلام جملة واحدة، وقوله: «من أحصاها دخل الجنة» صفة لا خبر مستقل.

والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدين لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه. ـــ

....

ـــ

ثم ذكر ابن القيم -رحمه الله- هنا هذه القاعدة وهي أن أسماء الله لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، يعني ليست محصورة في عدد معين، لا تسعة وتسعين ولا أكثر ولا أقل، ليست محصورة في عدد معين، هذه هي القاعدة، أسماء الله ليست محصورة في عدد معين ما الدليل؟ الآن ذكر القاعدة ما الدليل؟ ذكر لها هنا ثلاث أدلة من السنة:

الدليل الأول: حديث ابن مسعود، وبدأه بمقدمة، قال: فإن لله تعالى أسماءً وصفاتٍ استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح: ﴿ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾ إذًا القاعدة أسماء الله غير محصورة في عدد معين، الدليل الأول حديث ابن مسعود الشاهد منه (أو استأثرت به في علم الغيب عندك)، إذًا لله -تبارك وتعالى- أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، فهذا دليل واضح أن أسماء الله ليست محصورة في عدد معين، وضح ابن القيم الدليل، قال: فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه هذا أول.

والثاني: قسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم ثالث: استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه، ولهذا قال: استأثرت به أي: انفردت بعلمه، هذا المراد بقوله استأثرت، أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها في كتابه، استأثر بها أي: استأثر بالتسمي بها هذا كل أسماء الله، فالمراد استأثرت به أي: استأثرت بالعلم به، فاختص – سبحانه وتعالى – بالعلم بها.

إذن هذا الدليل الأول على أن أسماء الله ليست محصورة في عدد معين، قوله: ﴿ أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾ ما الدليل الثاني؟ قال -تضعون هنا رقم اثنين-: ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: ﴿ فيفتح علي – أي الله – من محامده بما لا أحسنه الآن ﴾ متى هذا الفتح؟ يوم القيامة، قال ابن القيم: وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته الله – سبحانه وتعالى – يعني دل الحديث على أن الله – سبحانه وتعالى – سيفتح على نبيه عندما يذهب ويخر ساجدا تحت

العرش يعلمه الله في ذلك الأثناء محامد من أسمائه وصفاته يحمد الله بها، ثم يقول الله له: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع.

إذًا قوله: « فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن » يعني ليست موجودة، وإنما الله يفتح عليه بها يوم القيامة، إذًا فيه أسماء لله سيعلمها الله –سبحانه وتعالى– نبيه يوم القيامة فيحمد الله بها عندما يخر شفيعًا، ويستأذن من الله –سبحانه وتعالى– ويطلب من الله أن يأذن له بالشفاعة، فيأذن له ويقول له: « ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع » إذًا هذا الدليل الثاني.

الدليل الثالث: تضعون عليه رقم ثلاثة، ومنه قوله ﷺ « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا الدليل له قصة لطيفة، وهي: أن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – فقدت النبي عليه الصلاة والسلام ليلة، فخشيت أن يكون عند بعض نسائه –وهذا من غيرة النساء– فأخذت تبحث عنه، فوقعت يدها على قدمه، على ظهر قدمه وهو في المسجد ساجد، ويقول في سجوده: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فقالت: إنك لفي شأن وإني لفي شأن آخر » .

الشاهد قوله: « لا أحصي ثناء عليك » يقول شيخ الإسلام: ولو أحصى أسماءه لأحصى الثناء عليه؛ لأن الثناء عليه بأسمائه –سبحانه وتعالى– وصفاته، فهذا يدل على أن ثمة أسماء مختص الله –تبارك وتعالى– بها بعلمها، ولهذا قال: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » يعلمها رب العالمين ولم يطلع عليها عباده، قوله: « أنت كما أثنيت على نفسك » تربطها بما مر معنا قريبا ما هو؟ « أو استأثرت به في علم الغيب عندك » « أنت كما أثنيت على نفسك » هذا نظيره في الحديث السابق: « أو استأثرت به في علم الغيب عندك » « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

إذًا في أسماء لله –سبحانه وتعالى– أثنى الرب –سبحانه وتعالى– بها على نفسه واستأثر بها – سبحانه وتعالى– في علم الغيب عنده، إذًا عندنا الآن ثلاثة أدلة على القاعدة: حديث ابن مسعود، وحديث الشفاعة، وحديث عائشة، ثلاثة أحاديث واضحة الدلالة على أن أسماء الله غير محصورة.

لما ذكر القاعدة وذكر لها هذه الأدلة الثلاثة، قال: وأما قوله، وهذا ترتيب جميل جدا لابن القيم في عرض الموضوع، قال: وأما قوله: ﴿ إن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ﴾ فالكلام جملة واحدة، يعني ليس الكلام جملتين منفصلتين؛ الأولى: إن لله تسعة وتسعين اسما، والثانية: من

.....

أحصاها دخل الجنة، بل الكلام جملة واحدة، آخره مرتبط بأوله، فمن يستدل بالحصر فهم أن الحديث جملتان: جملة أولى من الحديث أفادت الحصر، وجملة ثانية: أفادت أمرا وهو أن من أحصى هذا العدد المحصور دخل الجنة، وهذا خطأ؛ يقول ابن القيم: الحديث جملة واحدة، وسيأتي بالمثال توضيح ذلك.

قال: وقوله: ﴿ من أحصاها دخل الجنة ﴾ صفة لا خبر مستقل، يعني: صفة للأسماء ليس خبرا مستقلا منفكا عن الجملة الأولى، والمعنى: له أسماء متعددة عددها تسعة وتسعين، من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، فهي لا تفيد حصر الأسماء في هذا العدد، وبهذا يتضح لكم خطأ من قال: إن أسماء الله محصورة في هذا العدد التسعة والتسعين لا تزيد عنه ولا، فهذا خطأ ناشئ من عدم فهم مدلول الحديث.

قال: وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، بالمثال يتضح الأمر، يقول ابن القيم: وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، لفلان مائة مملوك أو لفلان مائة من الخيل أعدها للجهاد، هل هذه الجملة تفهم منها أن عدد ما يملك من المماليك أو عدد ما يملك من الخيول هي هذه؟ لو كانت جملتين، يمكن يفهم منها هذا، لكن إذا قلنا: هي جملة واحدة فيكون المراد أن هذا العدد من شأنه أنه ماذا؟ أنه خصص للجهاد، أعطيكم مثالا من عندي، سيعجبكم هذا المثال، لو قلت لكم: عندي مائة كتاب أعددتها هدية لكم، هل هذه الجملة تفهمون منها أن الموجود في مكتبتي مائة كتاب فقط؟ وإلا واضح من الكلام أن المراد أن المخصص هدية لكم والشوق الآن، هاه.. المخصص لكم عدده مائة، وإلا المكتبة فيها الحمد لله يعني كتب أكثر من مائة بقليل، فعندي مائة كتاب أعددتها هدية لكم هذا لا يفهم منه أنني لا أملك إلا هذا العدد، والجملة واضحة واضحة تماما ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة ﴾ هذه جملة واحدة،

يعني: من شأن هذه الأسماء التسعة والتسعين أن من أحصاها دخل الجنة، ندخل في القاعدة الجديدة. هذا مثال ضربته كثيرا ولم يأخذوه، نواصل أحسنت نعم.

أسماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره

قال رحمه الله تعالى: السابع عشر: أن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره وهو غالب الأسماء؛ كالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفردا ومقترنا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه به يسوغ لك الإفراد والجمع، ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله، كالمانع، والضار، والمنتقم فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعا، ونفعا وضرا، وعفوا وانتقاما.

وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد؛ ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه، فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع، وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له، حتى تذكر مقابلها.

—

وهذه قاعدة مفيدة وهي واضحة، أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره، وهو غالب الأسماء؛ كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم إلى آخره، فهذه يسوغ أن يدعى بها مفردا ومقترنا، يعني مفردا تنادي يا سميع، ويسوغ أن تنادي بهذا الاسم مقترنا بغيره يا سميع يا بصير، أو مثلا تخبر عنه به مفردا بهذا الاسم مفردا: إن الله سميع، وهو السميع، وأن تخبر عنه أيضا مقترنا بغيره:

وهو السميع البصير، وهذا كما يقول ابن القيم غالب الأسماء، وهذا يسوغ أن يدعى به مفردا ومقترنا بغيره، فتقول: يا عزيز يا حليم، يا غفور يا رحيم، وأن يفرد كل اسم.

وكذلك في الثناء عليه، والخبر عنه مثلا تقول: العزيز إنه هو العزيز، وأيضا تقول: إنه هو العزيز الحكيم الرحيم الغفور، تقرنه بغيره، أو تأتي به مفردا كل هذا سائغ، سواء في الطلب الدعاء أو في الإخبار، ومنها وهذا القسم الثاني، يعني هي قسمان ممكن تضعون على منها الأولى رقم واحد، ومنها الثانية رقم اثنين، ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله، وهذا النوع الثاني، منها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم، فهذه الأسماء ونظائرها لا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي، يعني المانع مقرون بالمعطي، والضار مقرون بالنافع، والمنتقم مقرون بالعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل.

ثم يبين تعليلا لهذه القاعدة، وهو تعليل جميل جدا قال: لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله، ثم يعلل هذا التعليل بأيضا كلام جميل؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم بماذا؟ بالعطاء والمنع، والنفع والضر، والعفو والانتقام؛ فهو فيه بيان كمال الله في التصرف، كمال الله في التصرف في هذا الكون عطاء ومنعا، نفعا وضرا، خفضا ورفعا، قبضا وبسطا إلى آخر الأسماء التي من هذا القبيل، فلا يدعى بالاسم منها منفردا، يقال يا ضار، يا خافض، يا منتقم، يا مذل، ولا أيضا يخبر عنه به مفردا يقال: هو المنتقم، هو الضار، هو المانع، بل لا بد أن يؤتى به مقرونا بمقابله.

قال: فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد؛ يعني كأنها اسم واحد ومثل لمزيد من التوضيح، قال: مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه من بعض، فهي مجرى الاسم الواحد، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه.

فاعلمه نسختي مكتوب فاعمله خطأ، أنتم عندكم فاعلمه، فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع، هذا خطأ؛ لأنه دعاء بها، يعني مفردة وهو لا يصح، وأخبرت بذلك كيف أخبرت؟ قلت: هو الضار

....

—

المانع، الخافض المنتقم، أيضا هذا خطأ، فلو دعوت أو أخبرت لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها واضحة جدا نعم.

أنواع الصفات

قال رحمه الله تعالى: الثامن عشر: أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالا ولا نقصا، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسما رابعا وهو ما يكون كمالا ونقصا باعتبارين، والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله، وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرا بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.

إذا عرفت هذا فله سبحانه من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفات الإدراكات: العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير، دون السامع والباصر والناظر، ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفو دون الصفوح الساتر، وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه، فتأمل ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون.

—

ثم ذكر ابن القيم -رحمه الله- هذه القاعدة، وجاء الحديث عنها مناسبة سابقة، وأشرت إلى أن الصفات أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالا ولا نقصا، وقالوا: القسمة التقديرية تقتضي قسما رابعا، وهو ما يكون كمالا ونقصا باعتبارين، لما ذكر ابن القيم هذه الأقسام الأربعة، قال: والرب منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله، فأراد ابن القيم بذكر هذا التقسيم؛ حتى يعرف المسلم وطالب العلم صفات الله -تبارك وتعالى- أنها لا تكون إلا من الصفات الكاملة التي لا نقص فيها.

أما الصفة التي هي صفة نقص، أو الصفة التي تحتمل نقصا وكمالا، أو لا تحتمل لا كمالا ولا نقصا، فهذه الثلاثة كلها لا تدخل في أوصاف الله، وإنما أوصاف الله -تبارك وتعالى- هي الأوصاف الكاملة، وكنا عرفنا أيضا أن الصفة المحتملة لكمال ونقص لا تنفى بالإطلاق، ولا تثبت بالإطلاق، وإنما يثبت لله -سبحانه وتعالى- منها الكمال وما يليق به.

قال: وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرا بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، على سبيل التقريب والتفهيم عندما يوضح اسما بلفظ آخر مثلا الكريم، الكريم اسم من أسماء الله، فقال أحد: الكريم المعطي، مثلا، فهل هذه الكلمة مرادفة للكريم، أو أنها كلمة للتفهيم والتقريب لتفهيم المعنى وتقريبه؟ فإذًا تفسير الأسماء الحسنى هو تقريب وتفهيم وما يذكر من ألفاظ هي ليست مرادفة، وإنما يجاء بها للتقريب والتفهيم، وهذا يفيد في باب أيش؟ الترجمة ترجمة معاني الأسماء الحسنى يصح إذا كان المترجم على علم باللغتين العربية واللغة المنقول إليها، وأيضا على فهم بالشريعة ومدلولات الألفاظ، فيصح تفسير المعاني، لكن المعاني التي ترجمت إليها، أو الألفاظ التي ترجمت إليها أسماء الله هل هي مرادفة للأسماء؟ لا، وإنما كما قال ابن القيم: هي جيء بها على سبيل التقريب والتفهيم، فالترجمة هي تقريب وتفهيم وليست الألفاظ المترجم إليها رديفا، أو مرادفة لأسماء الله الحسنى.

قال: وإذا عرفت هذا فله سبحانه من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، ثم ذكر عدة أمثلة، قال: فله من صفات الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه؛ لأن له من كل صفة أكمله معنى ودلالة، والسميع البصير دون السامع الباصر الناظر.

ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما، هنا أريد أقف وقفة مختصرة عند كلمة الرفيق، وأنا أعمل في هذا يعني قبل سنوات في المطبوع مكتوب الرفيق، وفي النسخ الثلاثة الخطية التي حصلت عليها لهذا الموضع أيضا مكتوب الرفيق، ولهذا قلت في الهامش هنا: كذا في جميع النسخ الخطية التي بين يدي، والصواب: الرقيق بالقاف، قلت: والصواب: الرقيق بالقاف؛ فإن اسم الرفيق بالفاء ثابت، في قوله ﷺ ﴿ فإن الله رفيق يحب الرفق ﴾ .

وقد عده ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ذكرت الصفحة من أسماء الله ﷻ هذا قلته في فترة، ثم بعد ذلك فترة لاحقة تبين لي بعد ذلك وجوده في بعض النسخ الخطية الأخرى بلفظ الرقيق، فإذًا يكون ومن صفات الإحسان: البر الرحيم دون الرقيق والشفوق، ونحوهما، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفو دون الصفوح الساتر، وهذا كله كما سبق؛ لأن له من كل صفة كمال أكمله.

وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه، قال: فتأمل ذلك فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، لاحظ هذا التنبيه اللطيف لا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، يعني: لا تأتي هنا تستحسن شيئا من الألفاظ لم يسمِّ الله –تبارك وتعالى– به نفسه، وإنما عليك بما ورد، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون تاسع عشر.

من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات

قال رحمه الله تعالى: التاسع عشر: أن من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدالّ على الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه كاسمه العظيم والمجيد والصمد، كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: الصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف: الذي قد كمل في شرفه، والعظيم: الذي قد كمل في عظمته، والحليم: الذي قد كمل في حلمه، والعليم: الذي قد كمل في علمه، والحكيم: الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفوا أحد وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار، هذا لفظه، وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى ففسر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يحط بهذا علما بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره.

هذه القاعدة سبق أن مرت معنا في أقسام ما يجري صفة وخبرا، وذكر لها أمثلة –رحمه الله– ولكن ربما أراد أن يزيد الأمر بيانا هنا فأعاد الكلام، وإلا هي مضت، فقال: إن من أسماء الله الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدالّ على الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه، هو يذكر أنه تكلم عنها، لكن أراد أن يقرر هذه القاعدة بضرب أيضا مثال، وأورد هنا شيئا لم يذكره سابقا وهو كلام ابن عباس في معنى الصمد، فالصمد هو من الأسماء التي ليست دالة على معنى واحد مثل: العليم العلم، السميع السمع، البصير البصير، الصمد ليس من هذا النوع، وإنما هو من الأسماء الدالة على جملة معان يوضح ذلك بكلام ابن عباس، قال: الصمد: السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في

حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سبحانه وتعالى هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفؤا أحد، وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، هذا لفظه؛ يعني ابن عباس، وقد رواه ابن جرير الطبري في تفسيره.

فلما ذكر القاعدة ومثالها نبه قال: وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى ففسر الاسم بدون معناه، هذا نوع من الخطأ، ونقصه من حيث لا يعلم إما أن يفسر بدون معناه، أو ينقصه شيئا من معناه، أو كثيرا من معناه، والسبب عدم الإحاطة أو الدراية بهذه القاعدة، قال: فمن لم يحط بهذه علما بخس الاسم الأعظم حقه، وهضمه معناه فتدبره، والكلام على هذه القاعدة سبق، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فنواصل قراءتنا في هذه القواعد لابن القيم -رحمه الله-.

معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه

بسم الله الرحمن الرحيم. قال المؤلف –رحمه الله تعالى – العشرون: وهي الجامعة لما تقدم من الوجوه وهو معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [1]

والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادة لحد، فمنه اللحد وهو: الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحِد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل، قال ابن السكيت: الملحِد المائل عن الحق المدخِل فيه ما ليس منه، ومنه الملتحَد، وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] أي: من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه، وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره، تقول العرب: التحد فلان فلانا إذا عدل إليه.

—

نعم هذه القاعدة العشرون من قواعد الأسماء والصفات التي جمعها ابن القيم رحمه الله، وصف هذه القاعدة بأنها الجامعة لما تقدم من الوجوه، وإذا نظرت في القاعدة تجد أنها تتعلق بالتحذير من الإلحاد في أسماء الله وصفاته بأي وجه كان وبأي طريقة كانت، وهذا يفيدنا أن من سلم من الإلحاد بكافة طرقه وجميع أشكاله فهو الذي على الجادة السوية، وعلى الصراط المستقيم، وهذا هو وجه قول ابن القيم –رحمه الله– عن هذه القاعدة أنها جامعة لما تقدم أي: من القواعد.

- ١سورة الأعراف آية : ١٨٠.

- ٢سورة الكهف آية : ٢٧.

قال: وهو معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه، القاعدة في معرفة الإلحاد أن يعرف المشتغل بهذا العلم ما هو الإلحاد في أسماء الله، وما هي أنواعه؟ من أجل ماذا؟ قال: من أجل أن لا يقع فيه، على حد قول من قال: تعلم الشر لا للشر ولكن لتوقيه؛ فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه.

وقبل ذلك الله –جل وعلا– يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [1] فمعرفة الإلحاد مطلوبة ومهمة للغاية لمن يشتغل بهذا العلم؛ من أجل الحيطة والحذر من أن يقع في سبيل الملحدين، وطريق الناكبين المائلين العادلين عن صراط الله المستقيم، ثم أورد الآية الكريمة قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] وهذه الآية الكريمة فيها التحذير البالغ من الإلحاد، وهي مشتملة على التحذير من الإلحاد من جهتين:

الجهة الأولى في قوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ ﴾ [3] أي: ابتعدوا عنهم واحذروا من سبيلهم، واحذروا من الوقوع فيما وقعوا فيه؛ فهذا يدل على خطورة ما وقعوا فيه، وشناعته وفداحته؛ حيث رب العالمين يحذر عباده من سبيل هؤلاء يقول:

- ١سورة الأنعام آية : ٥٥.
- ٢سورة الأعراف آية : ١٨٠.
- ٣سورة الأعراف آية : ١٨٠.

. . . . . .

﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾ [1] **أي: ابتعدوا عن طريقهم، واحذروا أن تقعوا فيما وقع فيه أولئك من إلحاد في أسماء الله وصفاته.**

والجهة الثانية في قوله سبحانه في تمامها: ﴿ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [2] **أي: سيعاقبون على عملهم هذا، ولم تذكر العقوبة، وهذا لفظاعتها وشدتها ولخطورة العمل الذي قام به هؤلاء، ثم بدأ يتكلم ابن القيم –رحمه الله– عن معنى الإلحاد، قال: الإلحاد في أسمائه أي: أسماء الرب سبحانه هو: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهذا التعريف من أحسن ما يكون لمعنى الإلحاد في أسماء الله الذي نهانا الله عنه في الآية المتقدمة.**

قال: هو العدول بها، والعدول هو الميل، عدل به عن الطريق أي: مال به عنه، فالعدول الميل، العدول بها الميل بها، وهذا مأخوذ من دلالة هذه المادة في اللغة كما سيأتي بيان ذلك عند المصنف –رحمه الله– قال: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهذا يتناول كل ميل بها عن الحق الثابت لها، الحق الثابت لها: أن تُمر كما جاءت، وأن تُثبت كما وردت، وأن لا تعطل، وأن لا تحرف، وأن لا يقع فيها العبد بأي نوع من أنواع الانحراف هذا هو الحق الثابت لها، فإذا عدل الإنسان عن ذلك ألحد، إذا عدل عن ذلك ألحد.

وهذا التعريف يفيدنا أن العدول بها عن الحق الثابت لها ليس طريقا واحدا بل طرق شتى يجمعها وصف الإلحاد، ولكن تتباين المسالك والطرق، لكنها كلها عدول، عدول بها عن الحق الثابت لها، قال: وهو مأخوذ من الميل يعني: مأخوذ لغة من الميل، كما يدل عليه مادته لحد، فمنه اللحد في القبر؛ لأن اللحد في القبر يحفر القبر مستقيما، ثم إذا وصل إلى حيث يدفن الميت مالوا إلى جهة القبلة بالحفر، هذا الميل لأجله سمي اللحد لحدا من الميل، وهو الشق في جانب القبر الذي قد

- ١سورة الأعراف آية : ١٨٠.

- ٢سورة الأعراف آية : ١٨٠.

مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين أي: المائل عن الحق إلى الباطل، أيضا هذا يرجع إلى مادة لحد التي هي الميل والعدول.

.....

قال ابن السكيت: الملحِد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه، قال: ومنه الملتحَد وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] أي: من دونه سبحانه، أي من تعدل إليه، وتهرب إليه، وتلتجئ إليه، وتبتهل إليه، فتميل إليه عن غيره، تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه، هذه كلها توضح لنا دلالة الكلمة في اللغة، وإذًا قوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾ [2] أي: يميلون بها ويعدلون بها عن الحق الثابت لها، ثم أشار –رحمه الله– إلى أن الإلحاد في أسماء الله أنواع.

- ١سورة الكهف آية : ٢٧.

- ٢سورة الأعراف آية : ١٨٠.

أنواع الإلحاد في أسمائه تعالى

قال –رحمه الله تعالى–: إذا عرفت هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع: أحدها: أن يسمي الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

—

هذا النوع الأول من أنواع الإلحاد في أسماء الله أن تسمى الأصنام، أو أن يشتق للأصنام من أسماء الله –سبحانه وتعالى– يشتق للأصنام الباطلة والمعبودات الباطلة من أسماء الله كما فعل المشركون، سموا اللات من الإله، وعزى من العزيز، ومنات من المنان، فهذا نوع من الإلحاد في أسماء الله –تبارك وتعالى– أن يشتق للأصنام والمعبودات الباطلة من أسماء الله –جل وعلا–.

قال: وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه أي: مالوا بها إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، يقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾ [1] قال: يعني به المشركين، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو الله، وسموا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز، ثم روى عن مجاهد في معنى الآية أنه قال: اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الإله، فهذا الذي أشار إليه ابن القيم –رحمه الله– هو مما فسرت به الآية عند المفسرين من السلف رحمهم الله. نعم.

- 1سورة الأعراف آية : ١٨٠.

تسميته بما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بالذات أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

—

وهذا نوع آخر من الإلحاد في أسمائه –سبحانه وتعالى– أن يسمى الله بما لا يليق بجلاله، ومن ذلكم تسمية النصارى له أبا، وهم في التثليث الباطل الذين يقولون به، يقولون: الأب والابن وروح القدس، يقصدون بالأب الله، تعالى الله عما يقولون، فهذا نوع من الإلحاد.

وكذلك ما عند الفلاسفة تسميتهم له سبحانه موجبا بذاته، ومعنى موجبا بذاته أي: الذي يجب أن يصدر عنه الفعل إن كان علة تامة لا من غير قصد وإرادة موجب بذاته يعني: تنتظم هذه الكلمة نفي الإرادة والمشيئة عن الله –سبحانه وتعالى– فهذه من إطلاقات الفلاسفة، وكذلك قولهم: علة فاعلة بالطبع، العلة الفاعلة بالطبع: هو ما يوجد الشيء بسببه بلا إرادة، تأمل الكلمتين: موجب بذاته، أو علة فاعلة بالطبع كلها ترجع إلى نفي الإرادة، فهذه تسمية باطلة لله –سبحانه وتعالى– تتضمن جحد إرادة الرب – تبارك وتعالى– وتدبيره وتسخيره لهذا الكون.

الموجب بالذات قالوا: هو الذي يجب أن يصدر عنه الفعل إن كان علة تامة له من غير قصد أو إرادة، مثلوا لذلك، قالوا: كوجوب صدور الإشراق عن الشمس، والإحراق عن النار، فالإشراق الذي يصدر عن الشمس، والإحراق الذي يصدر عن النار، يصدر عنها عن غير إرادة، فإذًا هذا الاسم وكذلك الاسم الثاني من الفلاسفة لله –جل وعلا – اسم باطل ويتضمن جحد الإرادة التي هي صفة الله –سبحانه وتعالى–.

كذلك من الأسماء الباطلة تسمية بعض الكتاب المعاصرين له –سبحانه وتعالى– بمهندس الكون، فهذا أيضا من التسميات الباطلة، ومن الإلحاد في أسمائه –سبحانه وتعالى– ومن تسميته ﷻ بما لا يليق به. نعم.

وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ [1] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

وهذا نوع ثالث من الإلحاد: وصف الله تعالى بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، والله –جل وعلا– في القرآن قال: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [2] **أي: من تعب، وقولهم:** ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ [3] **قال الله تعالى:** ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [4] **وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته، إذًا هذا نوع ثالث: وهو وصف الله تعالى بما يتقدس ويتنزه –تبارك وتعالى– عنه. نعم.**

- ١سورة المائدة آية : ٦٤.

- ٢سورة ق آية : ٣٨.

- ٣سورة المائدة آية : ٦٤.

- ٤سورة المائدة آية : ٦٤.

تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد؛ فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

—

ثم ذكر هذا النوع الرابع من أنواع الإلحاد وهو: التعطيل تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، والتعطيل في اللغة: المراد به النفي والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ [1] أي: خالية متروكة، وتعطيل الأسماء أي جحدها، تعطيل أسماء الله –تبارك وتعالى– أي جحدها ونفيها، وعدم إثباتها إما بتعطيل الاسم وما يدل عليه من صفة، أو بتعطيل الصفة التي دل عليها الاسم، أو بتعطيل بعض الصفات وإثبات بعضها، ولهذا جاء عن ابن القيم أنهم في التعطيل بين مقل ومستكثر، منهم من يعطل الأسماء والصفات، ومنهم من يعطل الصفات ويثبت الأسماء، ومنهم من يعطل بعضا ويثبت بعضا، ولهذا هم متفاوتون في التعطيل قلة وكثرة.

قال: كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، ألفاظ مجردة: أي أسماء وأعلام محضة غير دالة على معان، ولهذا يقولون: سميع بلا سمع، يثبتون الاسم وينفون

- ١سورة الحج آية : ٤٥.

الصفة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، رحيم بلا رحمة، يثبتون الاسم ويعطلون الصفة التي دل عليها الاسم، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة أي: أن هذا كله مصادم للشرع، ومصادم للفطر السليمة، ومصادم للعقول المستقيمة، وأيضا مصادم للغة، وهو يقابل إلحاد المشركين.

وعرفنا قبل قليل أن إلحاد المشركين هو بإعطاء أسماء الله –سبحانه– أو بعض أسماء الله للأصنام، قال: وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسمائه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه، أولئك أعطوها للآلهة، وهؤلاء سلبوه ما يليق به –سبحانه وتعالى– بنفي ذلك وتعطيله، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه.

قال: ثم الجهمية وفروخهم، وتأمل قوله: فروخهم أي: ما تولد عنهم، يعني ما تولد عن بدع الجهمية، وهو يشير بذلك إلى أن التعطيل الموجود في الفرق هو وليد ماذا؟ وليد بدعة الجهمية الأولى، هم الذين سنوا لهؤلاء سنة التعطيل، فإذًا كل معطل قل تعطيله أو كثر قد أخذ ميراث التعطيل من مَنْ؟ أخذ ميراث التعطيل من الجهم، وتقاسموا هذا الميراث من الجهم بين مقل ومستكثر، منهم من أخذ من هذا الميراث بنصيب وافر، ومنهم من أخذ من هذا الميراث بقدر أقل، لكن الكل ورثة للجهم؛ لأن هذه تركته وهذا هو ميراثه.

أما أهل الحديث وأهل السنة وأهل المعتقد الحق فهم ورثة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، و ﴿ إن العلماء ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ﴾ وهذا التعطيل والتأويل والتحريف ليس من ميراث النبوة إطلاقا، وإنما هو من ميراث الجهم وهو تركة الجهم، وهؤلاء تقاسموا هذا الميراث بين مقل ومستكثر؛ ولهذا عبر بهذه العبارة قال: الجهمية وفروخهم يعني: وما تفرخ وتولد ونشأ عن بدعتهم، وهذا أيضا فيه إشارة إلى أن البدع تتوالد، ويولد بعضها بعضا، مثل ما قال الشيخ حافظ حكمي –رحمه الله– في منظومته الجميلة جوهرة التوحيد، قال:

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

....

—

بيت من أروع ما يكون قال:

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

فالبدع تتوالد ويولد بعضها بعضا هنا قال: فروخهم، والفرخ: هو صغير الطير الذي فقس لتوه من البيضة فهم فروخ للجهمية تولدوا ونشأوا عن بدعة هؤلاء، قال: متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي، ومنهم المتوسط، ومنهم المنكوب في هذه البدعة بنفي الجميع وتعطيل الأسماء والصفات، ومنهم المتوسط والمراد بالتوسط في الغلو نفسه يعني: في مرحلة وسط بين الغلو الشديد وبين الغلو اليسير، فهو في مرحلة وسط بين الغلو الشديد والغلو اليسير أو القليل، فمنهم الغالي ومنهم المتوسط ومنهم المنكوب، هذه عند مراجعة الأصول استشكلتها؛ لأنه ورد في نسخ يعني اختلاف لكن هذه اللفظة هي التي اطمأننت لها قليلا وهي في المطبوعة بهذه الطريقة، وفي نسخة أيضا بهذا اللفظ المنكوب، وفي نسخة " ب، وع " والمثلوث: منهم المتوسط والغالي والمثلوث، وفي نسخة في توضيح المقاصد: منهم الغالي والمتوسط والمتلون، فهكذا يعني الموجود في النسخ، ولعلها أيضا يتيسر مراجعات أخرى لنسخ خطية ربما يتضح الأمر أكثر.

قال: وكل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر، فكل ذلك إلحاد، ولكن هؤلاء القوم في هذا الإلحاد بين مقل ومستكثر. نعم.

تشبيه صفاته بصفات خلقه سبحانه وتعالى

قال –رحمه الله تعالى–: وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا، فهذا الإلحاد في مقابله إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه.

ثم ذكر الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وهذا إلحاد المشبهة الذين يقول الواحد منهم: يد الله كأيدينا، سمعه كسمعنا، بصره كبصرنا، تعالى الله عما يقولون، والله –جل وعلا– يقول: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [1] **فهذا إلحاد، إلحاد في أسماء الله –تبارك وتعالى– وإلحاد في صفاته أن يقاس الله –جل وعلا– بخلقه، وأن يشبه –تبارك وتعالى– بخلقه، قال: وهذا النوع من الإلحاد الذي هو إلحاد التشبيه في مقابله إلحاد المعطلة، المعطلة: جحدوا والمشبهة، نعم الآن نلاحظ هنا أن منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، هذه القاعدة: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، المشبهة بالغوا في الإثبات إلى درجة ماذا؟ التمثيل، وأولئك بالغوا في التنزيه إلى درجة التعطيل.**

ومن هنا قال أهل السنة: إثبات بلا تمثيل، ردوا بذلك على الممثلة، وتنزيه بلا تعطيل ردوا بذلك على المعطلة؛ فأولئك غلوا في الإثبات إلى درجة التشبيه، وهؤلاء غلوا في التنزيه إلى درجة التعطيل؛ تعطيل صفات الرب، فإذًا هما بدعتان متقابلتان، تلك غلو في الإثبات، وهذه غلو في التنزيه؛ فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فهما بدعتان متقابلتان.

تأمل الكلمة الجميلة الآتية وهي تشمل كل ما سبق، قال: فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، ولو وضعت تحتها إشارة، كلمة جميلة، فجمعهم الإلحاد يعني: كل من سبق الوصف الجامع لهم: الإلحاد، لكن طرقهم مختلفة، هذا إلحاده تشبيه، والآخر إلحاده تعطيل، والآخر إلحاده تسمية الله

- ١سورة الشورى آية : ١١.

بما لا

.....

—

يليق، وآخر إلحاده تسمية الأصنام، أو اشتقاق الأصنام من أسماء الله، فكل ذلك إلحاد يجمعه وصف الإلحاد ولكن الطرق مختلفة. نعم.

منهج أهل السنة في الأسماء والصفات

وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه، وتنزيههم خليا من التعطيل لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، أو عطل كأنه لا يعبد إلا عدما.

—

نعم ثم ذكر منة الله –سبحانه وتعالى– وتوفيقه لأهل السنة بأن برأهم وسلمهم ونجاهم من هذه الورطات، ومن جميع هذه الضلالات فقال: وبرأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله يعني: عن الإلحاد كله بجميع أشكاله وأنواعه، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه ﷺ مثل ما نقلنا قول الإمام أحمد: ونصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث.

قال: ولم يجحدوا صفاته كما هو الشأن عند المعطلة، ولم يشبهوها بصفات خلقه كما هو الشأن عند الممثلة، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى كما هو الشأن عند المحرفة، الذين يحرفون ويعدلون بها، والتحريف: هو الميل والعدول بأسماء الله وصفاته سواء في ألفاظها أو معانيها، التحريف يكون في اللفظ ويكون في المعنى، يكون في اللفظ: بإبداله أو بتغيير حركته، ويكون في المعنى: بإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر، ولهذا أشار ابن القيم إلى أن التحريف على نوعين، قال: لفظا ومعنى هذا إشارة إلى أن التحريف منه تحريف لفظي ومنه تحريف معنوي.

قال: ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى، مشيرا بهذا إلى أن التحريف نوعان: تحريف لفظي وتحريف معنوي، التحريف اللفظي: بتغيير اللفظ إما بزيادة حرف فيه أو نقصان حرف منه، أو تغيير الحركة الإعرابية التي يتغير بموجبها المعنى، والتغيير المعنوي: بإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر يعني

مثلا: ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ [1] يقول المحرفة: أراد أن يعذبهم، وإذا كان لا يثبت الإرادة صفة لله ماذا يقول؟ ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ [2] أي: عذبهم فهذا تحريف معنوي.

قال: بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريا من التشبيه، وتنزيههم خليا من التعطيل، والقاعدة في الباب أشرت إليها قبل قليل: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، وهذا معنى قوله -رحمة الله عليه- هنا فكان إثباتهم بريا من التشبيه، يعني إثبات بلا تمثيل، وتنزيههم خليا من التعطيل، أي تنزيه بلا تعطيل، وهذه قاعدة أهل السنة في الباب على حد قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [3] ففي قوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [4] رد على الممثلة، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [5] رد على المعطلة.

قال: لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، لاحظ الكلمة هذه وقد قالها السلف قديما مثل ما قال نعيم بن حماد شيخ البخاري، قال: المشبه يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، من قال عن ربه الذي يعبده: إن يده كيده، وسمعه كسمعه، وبصره كبصره، وسائر صفاته كصفاته هل هو في الحقيقة يعبد الله ولا يعبد صنما من الأصنام؟ لأن هذه الصفات ليست صفات الله، التي ذكرها هي ليست صفات الله، وإنما هي صفات صنم من الأصنام، فإذا كان معبوده هذه صفته فهو في الواقع لا يعبد الله؛ لأن هذه ليست صفات الله، الله -سبحانه وتعالى- ليس كمثله شيء.

- ١سورة المجادلة آية : ١٤.
- ٢سورة المجادلة آية : ١٤.
- ٣سورة الشورى آية : ١١.
- ٤سورة الشورى آية : ١١.
- ٥سورة الشورى آية : ١١.

. . . . . .

—

فإذا قال قائل: إن ربه الذي يعبده يده كيده، وسمعه كسمعه، وبصره كبصره، وسائر صفاته كصفاته، فهو في الحقيقة لا يعبد الله؛ لأن هذه ليست صفات الله هذه صفات صنم من الأصنام، ووثن من الأوثان، فهو في الحقيقة لا يعبد الله، وهذا معنى قول نعيم: والمشبه يعبد صنما، لو قيل لك: لماذا قال السلف: المشبه يعبد صنما، ماذا تقول؟ تقول: الصفات التي ذكرها المشبه لربه الذي يعبده ليست صفات الله، وإنما هذه صفات صنم من الأصنام ووثن من الأوثان، أما الله –سبحانه وتعالى– ليس كمثله شيء هذا معنى قول السلف: والمشبه يعبد صنما.

قال: أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا العدم، وهذا أيضا معنى قول السلف: والمعطل يعبد عدما، من هو المعطل؟ الذي ينفي الصفات، فالذي يقول: الله لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه، ولا محايثا له ولا مباينا له، وليس بذي كذا وليس بذي كذا، إلى آخر النفي الطويل العريض الذي عند هؤلاء، النتيجة ما هي؟ بدون التكملة هذه فقط، الله ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين العالم ولا عن شماله، ولا داخله ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه، هذه صفة ماذا؟ الآن لو قيل لأحدنا: صف العدم، أعطنا صفة بليغة للعدم، وقال: العدم هو الذي ليس فوق ولا تحت، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه، ولا محايثا له ولا مباينا له، أي شيء تقولون له؟ لا فض فوك أليس كذلك، يقال له: لا فض فوك هذه أبلغ صفة للعدم، بل لو حاولنا أن نبحث عن صفة أبلغ منها للعدم ما نجد، صفة بليغة وجميلة جدا، ومنطبقة على العدم انطباقا جميلا لا فض فوك، وإذا كان فيه جوائز يعطى أحسن جائزة على هذا الوصف الجامع البليغ.

تجد الجهمية جعلوا صفة العدم هذه البليغة هي ماذا؟ صفة الرب، حتى أحد الجهمية المعاصرين كتب كتابا سماه "حسن المحاجة" في بيان أن الله لا داخل العالم ولا خارجه، وكرر نفس العقيدة هذه بالتمام بالألفاظ التي عليها الجهمية الأول، ولكنه ما تجرأ أن يكتب اسمه الصريح على الكتاب، فكتب على الكتاب اسما مستعارا، ولكن أبى الله –سبحانه وتعالى– إلا أن يفضحه، في آخر الكتاب قالوا: كتب للمؤلف وذكروا كتب السقاف المعروف فهو لما انتهى من الكتاب، وأراد أن يطبعه ما تجرأ أن يكتب اسمه، ولكن أبى الله –سبحانه وتعالى– إلا أن يفضحه ففي آخر الكتاب قالوا: كتب

للمؤلف،

....

—

وذكروا كتب السقاف المعروفة عنه، ومن ضمنها كتابه التمديد لمن عدد التوحيد، وكتب أخرى له كثيرة، وقرر نفس عقيدة الجهمية الأول نفس العقيدة، ومن عنوان الكتاب واضح، فهذه صفة العدم.

قال: أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما في الهامش عندي علقت: روى اللالكائي في شرح الاعتقاد عن نعيم بن حماد أنه قال: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، وقال ابن القيم –رحمة الله عليه– في النونية:

من شبه الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان

نعم. تفضل.

وسطية أهل السنة

قال -رحمه الله تعالى-: وأهل السنة وسط في النحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب.

—

آمين، ثم ذكر هنا وسطية أهل السنة -رحمهم الله- في هذا الباب وفي جميع أبواب الدين هم وسط، وسط بين الغلاة والجفاة، وما من أمر من أمور الدين إلا والناس فيه ثلاثة أقسام: غال، وجاف، ووسط، وجادة أهل السنة، هي التوسط لا غلو ولا جفاء، ولا تستقيم الوسطية ولا تتم لعبد إلا بسلوك الصراط المستقيم، الذي ترك النبي ﷺ أصحابه عليه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [2]
قال: أهل السنة وسط في النحل يعني: هذه النحل الباطلة والفرق المتعددة، أهل السنة وسط فيها بين من غلا ومن جفا، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [3] **أي: شهودا عدولا لا غلو ولا جفاء، توقد مصابيح معارفهم:**

- ١سورة النور آية : ٣٥.
- ٢سورة الأنعام آية : ١٥٣.
- ٣سورة البقرة آية : ١٤٣.

. . . . . .

﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [1] .

ولابن القيم –رحمه الله– تعليق جميل، وتقريرات ماتعة عن دلالات هذه الآية في مقدمة كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية" قال: فنسأل الله أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته، ومتابعة رسوله ﷺ إنه قريب مجيب، ونحن نسأل الله –جل وعلا– أن يغفر لابن القيم، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يغفر لجميع علماء المسلمين على ما قدموا من جهود عظيمة؛ نصرة للسنة وبيانا لدين الله –تبارك وتعالى– نعم.

- ١سورة النور آية : ٣٥.

أهمية قواعد الأسماء والصفات

فهذه عشرون فائدة مضافة إلى القاعدة التي بدأنا بها في أقسام ما يوصف به الرب –تبارك وتعالى– فعليك بمعرفتها ومراعاتها، ثم اشرح الأسماء الحسنى إن وجدت قلبا عاقلا ولسانا قائلا ومحلا قابلا، وإلا فالسكوت أولى بك، فجناب الربوبية أجل وأعز مما يخطر بالبال، أو يعبر عنه المقال، وفوق كل ذي علم عليم، حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علما، وعسى الله أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحسنى مراعيا فيه أحكام هذه القواعد، بريئا من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاته فهو المانّ بفضله، والله ذو الفضل العظيم.

—

ثم ختم ابن القيم –رحمه الله– بهذه الخاتمة التي قصد بها التنبيه على أهمية هذه القواعد وشدة الاحتياج إليها، وأن من لم يكن على علم بهذه القواعد والأصول والكليات الجامعة، فالأولى به أن يسكت، وألا يخوض في هذا الباب؛ لأن الخطأ فيه ليس كالخطأ في أي أمر آخر؛ ولهذا قال: فعليك بمعرفتها ومراعاتها، ذكر أمرين: المعرفة يعني أن تعرف هذه القواعد وتحسن ضبطها، والأمر الثاني: تراعيها عند اشتغالك بهذا العلم، سواء تقرير الحق، أو الرد على أهل الباطل، عليك بمعرفتها ومراعاتها، ثم اشرح الأسماء الحسنى إن وجدت قلبا عاقلا، ولسانا قائلا، ومحلا قابلا، فإذا وجدت هذه الثلاث: القلب العاقل الذي يعقل عن الله –تبارك وتعالى– مراده، وليس القلب الغافل، أو الذي ألهته الشهوات، أو شغلته الشبهات، وإنما هو قلب عاقل متهيئ لـ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ [1] قلبا عاقلا ولسانا قائلا، يعني يحسن القول ويحسن البيان، ومحلا قابلا: يعني قابلا لتقرير هذا الحق وبيانه.

- ١سورة ق آية : ٣٧.

. . . . . .

قال: وإلا فالسكوت أولى بك من أن تخوض في هذا الباب، لماذا؟ لأن من خاض في هذا الباب بدون تأصيل وبدون تأهيل وبدون هذه القواعد فهو عرضة للخطأ، وإذا وقع في الخطأ فالخطأ عظيم، الخطأ في اسم من أسماء الله ليس كالخطأ في أي اسم آخر، وقد أشرت في المقدمة إلى خطورة هذا الأمر بذكر مثلين: أحدهما: يتعلق بجانب الإثبات، والآخر: يتعلق بجانب النفي، قال: وإلا فالسكوت أولى بك فجناب الربوبية أجل وأعز مما يخطر بالبال ويعبر عنه المقال، وفوق كل ذي علم عليم، حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علما، وهو الله –سبحانه وتعالى–.

قال: وعسى الله أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحسنى، مراعيا فيه أحكام هذه القواعد، بريئا من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاته، فهو المانّ بفضله، والله ذو الفضل العظيم.

ابن القيم –رحمه الله– تيسر له هذا الذي قال عنه: عسى الله أن يعين بفضله تيسر له هذا الأمر؛ لأن من ترجم له مثل ابن رجب في ذيل الطبقات، ذكر من ضمن مؤلفات ابن القيم "شرح الأسماء الحسنى" ذكر من ضمن مؤلفاته كتابا بعنوان: "شرح الأسماء الحسنى".

فهذا يفيد أن هذا الأمر الذي اهتم به –رحمه الله– وترجى أن ييسر الله –سبحانه وتعالى– له إنجازه وكتابته كتبه، لكن كتاب شرح الأسماء الحسنى لا نعلم له وجودا، ولعل الله –سبحانه وتعالى– ييسر خروجه، قد يكون في بعض المكتبات الخطية دفينا، أو لم يعسر عليه فالأمل موجود أن يوجد الكتاب، ويخرج ويستفيد منه طلبة العلم، كتبه الموجودة مليئة في ثناياها بشرح أسماء الله الحسنى، ولهذا الشيخ بكر أبو زيد –حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية– كتاب التقريب لفقه ابن القيم عمل فيه فهرسا لمواضع ورود الأسماء وشرحها في كتب ابن القيم –رحمه الله– وأخونا الباحث وليد العلي حقق أو ألف رسالة في الجامعة الإسلامية عن منهج ابن القيم وجهوده في توحيد الأسماء والصفات، وأجاد في جمع هذه القواعد وغيرها من القواعد من كتب ابن القيم، وتطبيقاته لهذه القواعد في كتبه وشرح ابن القيم للأسماء أيضا جمع من ذلك قدرا طيبا.

وعد ابن القيم للأسماء، وغير ذلك في كتاب طبع في ثلاثة مجلدات، وهو كتاب قيم ومفيد جدا لطالب العلم، ومن ضمن القواعد التي ضمنت هذا الكتاب هذه القواعد التي قرأناها، والحمد لله أولا

....

—

وآخرا، وله الشكر ظاهرا وباطنا، ونسأله –جل وعلا– أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وفي بعض الأسئلة يمكن نعرض ما تيسر منها.

هذا يقول: قول: يا أنت، يا الله كدعاء هل هي صحيحة أو لا؟

يا الله، هذا مستقيم وهو داخل في قوله: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [1] أما يا أنت، فهذه ليست مما يدعى الله –تبارك وتعالى– به، بل هذه من موروثات المتصوفة يا هو ويا أنت، وهذه تكثر عند القوم، والله –جل وعلا– قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [2] .

وهذا يقول: ما معنى الحديث: « إن الله خلق آدم على صورته » وهل يعد تشبيها بين الخالق والمخلوق؟

حاشا أن يكون ذلك تشبيها، وهو حديث ثابت عن النبي ﷺ وقد جاء في بعض ألفاظه: « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » وهذا لا يلزم منه أن تكون الصورة كالصورة، ولكن الله ﷻ خلق آدم على صورته له وجه وله سمع وله بصر، ولا يلزم من ذلك أن يكون الوجه كالوجه، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: « إنكم ستدخلون الجنة على صورة القمر » فهل هذا يلزم منه أن يكون من يدخل الجنة مطابقا للقمر استدارة، ومن مادة القمر؟ ما أحد يقول هذا، فإن الكلمة واضحة: « إن الله خلق آدم على صورته » أي له وجه، لكن لا يلزم من ذلك أن يكون الوجه كالوجه.

- 1سورة الإسراء آية : ١١٠.

- 2سورة الأعراف آية : ١٨٠.

. . . .

هذا عنده بعض الأسئلة، يقول: كيف الصلاح وصف مشترك لا يكون علما على أحد من الناس، ومن الناس من يسمى صالحا؟

المراد بعلم: أي علم مختص به، فهذا لا يمكن؛ لأن الصلاح وصف مشترك، فليس هناك في أوصاف الناس وصف يكون علم مختصا بالإنسان إن كان الصلاح فكثيرون، إن كان الهدى فكثيرون، إن كان الاستقامة فكثيرون وهكذا.

يقول: هل يجوز أن يدعى الله ﷻ بأسمائه وصفاته باللغة الأجنبية؛ بأن يترجم الاسم باللغة غير اللغة العربية، خاصة على من يشق عليه تعلم العربية؟

يدعى الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه، وليس في ذلك مشقة أن يعرف المسلم أن من أسمائه الله، أو يا رب، أو يا ربي، أو يا الله لو لم يتعلم إلا هذين الاسمين، ومثل ما عرفنا أن تفسير الاسم بلفظ آخر هو ليس مرادفا له، وإنما هو من قبيل التقريب والتفهيم، ومن باب ذلك أن يقال فيما يتعلق بترجمة الاسم إلى لغة أخرى.

هذا يقول: عذرا ما معنى فرث في كلام ابن القيم؟

فرث هذه أيضا مرت معنا في الآية: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ [1] **الفرث: هو الخارج من بهيمة الأنعام يعني: ما يخرج من بهيمة الأنعام هذا يسمى فرثا.**

وهذا يقول: نرجو توضيح دلالات الأسماء المطابقة، والتضمن، والالتزام؟

عرفنا أن الدلالات ثلاثة: دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن: دلالة اللفظ على بعض معناه، ودلالة الالتزام: دلالة اللفظ على أمر خارج معناه، مثلا هذا كتاب لو استدللت بدلالة المطابقة استدللت بالكتاب دلالة مطابقة، ماذا تشتمل عليه هذه الدلالة؟ كل محتويات الكتاب، الكتابة والحبر والمعاني والموضوعات كلها يشملها استدلالك بكلمة كتاب دلالة

- ١سورة النحل آية : ٦٦.

. . . . . .

مطابقة، لكن لو استدللت بكلمة كتاب على الحروف التي في داخله، أو بعض الكلمات التي بداخله، هذه دلالة أيش؟ تضمن؛ لأن كلمة كتاب تتضمن الكتابة لو قلت: وجود الكتاب دليل على وجود كاتب له، هذه دلالة التزام: يعني دلالة اللفظ على أمر خارج معناه، هذه تسمى دلالة التزام.

يقول: هل الساتر من أسماء الله، وهل يجوز الدعاء به، مثل أن تقول: يا ساتر؟

ليس الساتر من أسماء الله، والذي ثبت: ﷺ إن الله حيي ستير ﷺ وأما الساتر ليس من أسمائه، ويجوز أن يخبر عنه به، وأما الدعاء فيدعى –تبارك وتعالى– بأسمائه.

ما هي الكتب التي توصون بقراءتها في أسماء الله وصفاته، وخاصة أنني مبتدئ؟

أوصيك أول ما تبدأ بشرح لابن سعدي مختصر جدا في فصل موجود في تفسيره، تيسير الكريم الرحمن فصل مختصر لكنه نافع ومفيد، جمع فيه الأسماء الحسنى، وشرحها شرحا مختصرا، وثمة مختصرات أخرى، لكن هذا من أخصر ما وقفت عليه وأجمعه في هذا الباب.

هذا يقول: كيف نعرف الاسم الدال على وصف متعد من الاسم الدال على صفة لازمة؟

هذا يعرف بالتأمل ومعرفة المعاني والدلالات، فالاسم الذي يتعلق بصفة فعلية مثل: "الرحيم" "والغفور" "والرزاق" "والمحسن" ونحو ذلك يتعلق بصفة فعلية فهو دال على فعل مجاوز أو فعل متعد، وأما الاسم الذي يدل على صفة لازمة مثل: "الحي والأول" ونحو هذه الأسماء فهذا يثبت منه أمران: الاسم والصفة.

وهذا السؤال من الجزائر يقول: بعض الناس ينقل الكلام بين الناس، فتقع بينهم فتنة، فإذا أنكر عليه قال: أنا لم أقصد الإفساد، فهل يشترط في النميمة قصد الإفساد من الناقل؟

نقل الكلام على وجه الإفساد هو النميمة، والنميمة: هي القالة بين الناس، ونقل الكلام بينهم بما يوجد الفساد، ومشكلة يبدو لي قائل هذه الكلمة أنه جمع بين سيئتين: سيئة نقل الكلام الذي يترتب عليه الإفساد، والأمر الثاني: أنه يزكي نفسه، المجتمع على يديه يتفكك والناس يعني يختلون، ويقول: أنا مقصدي طيب وما أردت إلا الخير، وربما أنه يقول: ما أردت إلا جمع القلوب والتأليف بين القلوب، والناس عن يمينه وشماله تتعادى وتتهاجر وتتفرق، ولا يزال عند نفسه يرى أنه مصلح، وأنه ما أراد إلا الخير ولم يرد إلا جمع القلوب، فهذا يعني كلام..

وهذا يقول: قرأت في أحد الكتب أن أسماء الله الحسنى لا تزيد ولا تنقص ما معنى هذه القاعدة؟

هذه ليست بقاعدة، وإنما هو كلام خطأ، وعرفنا أن الحديث الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ﴾ لا يفيد الحصر لأسماء الله بهذا العدد، وقد مر معنا في القاعدة ذكر ابن القيم لثلاثة أدلة على ذلك.

وهذا من سؤال تقول فيه السائلة: بما أنه من المتقرر أن لا تكون أوصاف العباد أعلاما فما صحة التسمية بهدى ورشيد وصالح ونحوها؟

أوصاف العباد ينبغي أن نفهم المراد بقول ابن القيم: إنها لا تكون أعلاما مختصة بحيث إذا أطلق الاسم لم ينصرف إلا إلى شخص معين، يعني الآن المثال الذي أوردت صالح هذا علم على كثير من الناس، لكن هل هو علم مختص بحيث إذا قيل: صالح لا ينطبق إلا على شخص معين، أو لا ينصرف إلا لشخص معين؟ هذا لا يقال في الأوصاف المشتركة، وصالح ورشيد وغيرها من الأسماء هذه كلها تشتمل على أوصاف مشتركة، وليست مشتملة على أعلام مختصة.

يقول: هل يجوز الحلف بالقرآن، وإذا كان جائزا فهل يشرع أن يحلف بصفة من صفات الله؟

نعم الحلف المراد به التعظيم، والقرآن من كلامه -سبحانه وتعالى- وكلامه صفة من صفاته، والله ﷻ يحلف به ويحلف بصفاته، سواء كلامه أو عزته أو قدرته أو ربوبيته أو عظمته -جل وعلا-.

يقول: هل الأسماء هي التي تشتق من الصفات أو العكس؟

قول ابن القيم فيما سبق، لما ذكر الصفات قال: اشتق له منها اسم، مراده اسم يخبر عن الله به، يعني مثلا: صفة الكلام يشتق له منها اسم فيقال: متكلم على وجه الإخبار عنه -سبحانه وتعالى- بهذا الاسم لا على أنه من أسمائه الحسنى، وإلا القاعدة أن الأسماء يشتق لله منها صفات بمعنى أن كل اسم من أسماء الله -تبارك وتعالى- دال على صفة كمال.

هذا أيضا يعيد، يقول: كتب تنصح بقراءتها في شرح الأسماء والصفات؟

مما أيضا يضاف إلى ما سبق الكتاب الذي أشرت إليه، وقد جمع فيه كلام ابن القيم -رحمه الله- في شرح أسماء الله الحسنى.

يقول هنا: ما الفرق بين الاسم والصفة، وهل كل اسم صفة أم كل صفة اسم؟

الفرق بين الاسم والصفة واضح، الاسم: يدل على شيئين وربما ثلاثة، والصفة: تدل على شيء واحد وهو المعنى الذي دلت عليه، فمثلا: الاستواء صفة، وهو لفظ يدل على ماذا؟ صفة الاستواء، العلي اسم يدل على الذات، ويدل على الصفة؛ فالعلي اسم يدل على الذات ويدل على الصفة التي هي العلو، وإذا قلت: العلو فالعلو صفة لله -تبارك وتعالى- وكل اسم يشتق لله منه صفة؛ بل بعض الأسماء يثبت لله منها أكثر من صفة، على ما سبق تقريره عند ابن القيم، والصفات لا يشتق لله منها أسماء، مثلا: ينزل ربنا، ثم استوى على العرش، ضحك ربنا، كل هذه تدل على صفات، لكن لا يشتق لله منها أسماء فلا يقال: من أسمائه النازل أو المستوي أو نحو ذلك.

هنا يقول: ما هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب؟

هذا فيه خلاف كبير بين أهل العلم، وقد أوصلها بعضهم في مصنف مفرد إلى عشرين قولا، لكن من أشهر الأقوال قول من قال: إن الاسم الأعظم هو الله، وقول من قال: الاسم الأعظم الحي القيوم، وإلى هذا الأخير مال ابن القيم -رحمه الله- في بعض مصنفاته، وابن منده في كتابه "التوحيد" اختار أن الاسم الأعظم: هو الله الذي ترجع إليه جميع الأسماء الحسنى، الله ذو الألوهية أي: المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي استحق بها أن يؤله ويعبد ويخضع ويذل له.

يقول: ما حكم من قال: بأن الله موجود في كل مكان؟

هذه عقيدة باطلة، القول بأن الله في كل مكان عقيدة باطلة مصادمة لعقيدة القرآن الدالة على علو الله -سبحانه وتعالى- بل مصادمة للعقل الصحيح، ومصادمة لكلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، ومن لا يؤمن بعلو الله الثابت في القرآن والسنة ليس أمامه إلا إحدى عقيدتين: إما هذه أن يقول الله في كل مكان - تعالى الله وتنزه وتقدس عن ذلك- أو يقول مقالة النفاة المعطلة: لا فوق ولا تحت إلى آخره، والعجيب أن بعض الجهمية مرة يقول: الله لا فوق ولا تحت، ومرة يقول: الله في كل مكان، فقيل له في ذلك: كيف تقول يعني هذين القولين المتناقضين؟ قال: ذاك مقتضى نظري، يعني لما أدخل في مسائل النظر والكلام والفلسفة أقول: الله لا فوق ولا تحت، ولا..، والقول الآخر قال: هذا مقتضى وجدي وذوقي، يعني لما أريد أن أعبد وألتجئ وكذا، أقول: إن الله في كل

مكان؛ لأن المقولة الأولى إذا أراد أن يلتجئ وأن يقصد وأن يعبد إلى من يتجه؟ فإذا كان في مقام النظر ينفي، وإذا كان في مقام التعبد يقول: الله في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علوا عظيما.

يقول: هل يجب على من سُمي بعبد الصادق أن يغير اسمه؟

لا أعرف دليلا على ثبوت يعني هذا الاسم لله -تبارك وتعالى- وبعض أهل العلم يقولون: إن الأسماء التي لا تحمل معاني غير صحيحة، وإنما تحمل معاني صحيحة دلت عليها صفاته -تبارك وتعالى- ويصح الإخبار عن الله بها مثل هنا الصادق ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [1] ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ [2] فالتي تحمل معاني صحيحة، يقولون: يعني لا يلزم أن يغير لا يسمي بها ابتداء، لكن إن وجدت لا يغير، فبعض أهل العلم قال مثل هذا.

يقول: أريد مزيدا من الإيضاح في معنى قول المؤلف: إن الشر يدخل في مفعولاته لا في أفعاله؟

ذكرت لكم أن من المناسب في الكلام في هذه المسألة أن ينطلق من الحديث قول النبي ﷺ « والشر ليس إليك » يعني ليس إليك اسما ولا صفة ولا فعلا، ودخول الشر في المفعولات، والمفعولات: هي المخلوقات التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر ليس إلى الله -سبحانه وتعالى- لا خلقا ولا وصفا ولا فعلا، وإنما هو داخل في مفعولاته كما قال عليه الصلاة والسلام: « والشر ليس إليك » .

يقول: ما الجمع بين قولنا: أسماء الله الحسنى ليست مترادفة، وقولنا: إن دلت على الذات فهي مترادفة، وإن دلت على الصفات فهي متباينة؟

ما الجمع بين قولنا يقول هكذا: ما الجمع بين قولنا: أسماء الله الحسنى ليست مترادفة، أنا ما أدري إلى من يشير في قوله قولنا، أنا بالنسبة لي أنا ما أني داخل معه في ها الجمع هذا، ما أدري الإخوان

- ١سورة النساء آية : ١٢٢.

- ٢سورة آل عمران آية : ٩٥.

داخلين في الجمع أنتم؟ أو يقصد نفسه ما أدري، أما أنا ما أرضى أني أدخل معه في الجمع هذا، وأنتم

....

—

تدخلون؟ هو يقول: قولنا، تراه يقصدنا كلنا، أعيد لكم كلامه حتى نرى توافقون على كلامه ولا لا، يقول: ما الجمع بين قولنا، ما قال قولي، ولا قال: قولك يعني المدرس، قال: ما الجمع بين قولنا أسماء الله الحسنى ليست مترادفة، أنا قلت هذا؟ وأنتم! ما أدري عاد يبين لنا من يريد حتى نجمع له بين القولين.

وأما قوله في الشق الثاني وقولنا: إن دلت على الذات فهي مترادفة، وإن دلت على الصفات فهي متباينة هذه كلنا داخلين معه فيها، وهي كلام واضح ما فيه إشكال، وهذا ما السؤال الثاني يتعلق أجبت عنه قبل قليل والشر ليس إليك.

يقول: ما حكم وصف الآيات القرآنية بأنها على نسق موسيقي باعتبار الرجع من الآيات أو نحو ذلك فهل يسوغ؟

لأ، هذا كلام لا يسوغ، وتعالى وتنزه كلام الله –تبارك وتعالى– أن يوصف. الموسيقى لهو باطل، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الحر والحرير والخمر والمعازف ﴾ والقرآن كلام رب العالمين فلا يوصف كلام رب العالمين باللهو والباطل.

قال: أورد المؤلف –رحمه الله– أنه لا ينبغي إطلاق كلمة العفو مفردا، لكن ورد في الحديث: ﴿ اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ﴾

أريد من الأخ السائل يخرجها لي من الكتاب، أن ابن القيم فعلا قال ذلك: لا ينبغي إطلاق اسم العفو مفردا، يخرجها من الكتاب!.

هذا يقول: أرجو التكرم بالدعاء لإخواننا المسلمين في غزة فهي تقصف الآن من قبل اليهود.

نتوجه إلى الله –سبحانه وتعالى– بأسمائه وصفاته أن يرد كيد اليهود في نحورهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرا عليهم، وأن يرينا فيهم –سبحانه وتعالى– عجائب قدرته، وأن يسلم إخواننا المسلمين في فلسطين وفي كل مكان من كيد الأشرار، ونلتجئ إلى الله –سبحانه وتعالى– أن ينصر إخواننا المسلمين في كل مكان، ونقول كما قال عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بأعداء الدين: ﴿ اللهم

إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم 🕮 والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.